ذاكرة عراقية

صورة نادرة لجسر مود اثناء الاحتفال بعيد ميلاد الملك فيصل الاول

معارك ابراهيم صالح شكر الصحفية والسياسية

اول هاتف ارضي عرفه العراقيون

جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد 1917

العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

من تاريخ الاحزاب العراقية

كيف عاد حزب (النهضة العراقية) الى العمل السياسي عام 1924 ؟

■ فلاح حسن عباس كزار

بعد إغلاق الحزبين الوطنيين (الوطني والنهضة العراقية) في آب ١٩٢٢ والسماح بتأليف حزب سياسي آخر (الحزب الحر العراقي) ، يعمل بإمرة المندوب السامي البريطاني ، تعالت أصوات الجماهير برفض ذلك ، ويبدو واضحاً من المظاهرات التي خرجت في شوارع بغداد متجهة نحو دار رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب ، فضلاً عما أظهرته قصائد الشعراء ومنها قصيدة الشاعر معروف الرصافي، ومما زاد غضب الجماهير حدة ، ما أصدره النقيب ومجلس الوزراء من قرارين كانا في غاية الخطورة ، إذ صدر الأول يوم ١/تشرين الأول/١٩٢٢ ، وقضى بإجراء انتخابات المجلس التأسيسي للمصادقة على المعاهدة العراقية – البريطانية المصدقة من مجلس الوزراء في ٢٥/ حزيران/١٩٢٢ ، والثاني حدد يوم ٢٤/تشرين الأول/١٩٢٢ موعداً لبدء الانتخابات ، فارتفعت الأصوات ، ولاسيما أصوات رجال الدين الذين أصدروا فتاوى حرمت إجراء تلك الانتخابات ما لم يعاد المنفيون السياسيون الذين نفاهم برسي كوكس إلى جزيرة هنجام ، وسحب المستشارين البريطانيين من الألوية ، والسماح بتأليف الجمعيات والأحزاب السياسية ، وإعطاء الحرية للصحافة وإلغاء الإدارة العرفية في البلاد ، وأخذ الشباب المتحمس للحرية والاستقلال كتابة منشورات سرية تدعو للوقوف ضد الانتخابات والملك فيصل الأول نفسه. إذ أعلن الشيخ محمد مهدي الخالصي الكبير أنه لم يعد للملك فيصل أية بيعة في أعناق الشعب العراقي بعد أن أخل بشروطها ، وحَمَلَتْ المنشورات الحكومة ما يحصل في البلاد ، ولم يسلم النقيب نفسه من النقد الموجه إليه الذي بدا واضحاً على أفواه الشعراء ،

لقد كان لتلك المنشورات صدىً واسعاً لدى عامة الشعب الذي عمل على مقاطعة الانتخابات ، ممّا دفع وزير الداخلية (عبد المحسن السعدون) إلى طلب استعمال سياسة القوة والشدة لمقاومة تلك المقاطعة ، غير أن طلبه ذاك لم يلق استحباباً من رئيس الوزراء وأعضاء وزارته الآخرين ، فقدم السعدون استقالته يوم ٦/تشرين الثاني/١٩٢٢ ، فتضعضع مركز الوزارة ، مما أدى إلى استقالتها في ١٦/تشرين الثاني/ ١٩٢٢.

أدركت دار الاعتماد البريطانية على إثر ذلك أنه لابد من إسناد رئاسة الوزارة القادمة إلى شخصية قوية تعمل على الوقوف ضد دعوة المعارضين إجراء الانتخابات ، فعملت من وراء (الكواليس) ليكون رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون ، وحصل ما خططت له ، فشكل السعدون وزارته يوم ٢٠/تشرين الثاني/١٩٢٢.

عمل السعدون منذ بداية تشكيل وزارته على استمالة أصحاب فكرة مقاطعة الانتخابات بتلبية بعض مطالبهم ، فأعلن عن وضع نظام التفتيش الإداري الذي ألغى بموجبه وظائف المستشارين البريطانيين في بغداد ، وأيد حرية الصحافة ، وأعلن أن وزارته لا تعارض تأليف الأحزاب السياسية التي تتشكل بموجب القوانين المرعية في البلاد ، وخفض مدة المعاهدة العراقية – البريطانية الأولى عام ١٩٢٢ من عشرين عاماً إلى أربعة أعوام ، وأعلن العفو عن بعض المسجونين السياسيين الذين نفاهم كوكس إلى جزيرة هنجام يوم ٢٦/آب/١٩٢٢ ، وتوسط لدى المندوب السامي البريطاني بشأن ذلك.وعلى الرغم من موافقة المندوب السامي على العفو ، ألا أنه لم يُفرج عن الوطنيين ، بل اتبع سياسة التسويف والمماطلة ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ أخذ يعمل على قتل الروح الوطنية في نفوس الوطنيين أنفسهم وهم في معتقلهم في جزيرة هنجام ، ويظهر ذلك بوضوح من خلال زيارته لهم يوم ٥/كانون الأول/١٩٢٢ ، التي اتبع فيها معهم الحرب النفسية وسياسة فرّق تسد لشق وحدة الصف الوطني ، إذ اخبرهم أن الحكومة العراقية طالبت وسمحت لأربعة منهم بالعودة إلى العراق ، وأشار إلى الأربعة وهم كل من (عبد الرسول كبة ، وأمين الجرجفجي ، وحبيب الخيزران ، وسامي خوندة) ، وترك الحرية لمحمد مهدي البصير ، وجعفر أبو التمن ، وحمدي الباجة جي باختيار البلد الذي يختارونه فاختاروا مصر ، غير إن المندوب السامي لم يلبّ رغبتهم أو رغبة الحكومة العراقية ، إذ تركهم وذهب من غير أن يرد عليهم ، وبعد مرور اثنين وخمسين يوماً على تلك الزيارة وصلهم القنصل البريطاني العام في بندر عباس وهو المسؤول الرسمي عنهم والمشرف على أحوالهم حاملاً معه أوراقاً تضمنت تعهداً جاء فيه "اقسم بالله أن اتبع سياسة حكومة جلالة ملك العراق وأتحاشى كل حركة تخل بالأمن العام وتهيج الأفكار ضد الحكومة" وطلب من عبد الرسول كبة ، وأمين الجرجفي ، وحبيب الخيزران ، وسامي خوندة ، ومحمد مهدي البصير التوقيع عليها ، وأبلغهم أن هذه التعهدات سترسل إلى المندوب السامي فور توقيعها منهم إذ سيتم الإفراج عن الموقعين ، فرفض البصير وحبيب الخيزران توقيع التعهد ، في حين وقعه كل من أمين الجرجفجي ، وعبد الرسول كبة ، وحمدي الباجة جي فسمح لهم بالعودة إلى العراق ثم ما لبث أن وقعه الآخرون بالإكراه ، فغادروا هنجام يوم ١٠/شباط/١٩٢٣ ووصلوا بعد عدة أيام إلى البصرة ثم غادروها إلى بغداد ، فوصلوا يوم ١٩/شباط/١٩٢٣ وانتهى بذلك نفي الوطنيين ومن ضمنهم معتمد حزب النهضة العراقية.

لم تتوقف المطالب الوطنية ، ولاسيما طلب الشيخ محمد مهدي الخالصي الكبير بمقاطعة الانتخابات ، لذلك اتخذت الحكومة العراقية إصدار قرارين كانا في غاية الأهمية ، صدر الأول يوم ١٧/حزيران/١٩٢٣ ، وقضى بإخراج الأجانب من العراق الذين يخلون بالأمن والاستقرار فيه ، وإحالة العراقيين منهم إلى المحاكم ، وصدر الثاني يوم ٢٥/حزيران/١٩٢٣ ، إذ سن فيه قانون الإقامة ، وبذلك وضعت الحكومة حداً للمقاطعة وحددت يوم ١٢/تموز/١٩٢٣ موعداً لبدء الانتخابات ، وكان لحزب النهضة العراقية موقفاً منها ، فعلى الرغم من عودة معتمد الحزب من النفي الأنف الذكر ، وعلى الرغم من إعلان وزارة السعدون بالسماح للأحزاب السياسية بمزاولة نشاطها السياسي ، ألا أنه على ما يبدو لم يكن هو أو أحد أعضاء حزبه راغباً في إعادة النشاط السياسي لحزب النهضة العراقية ، نتيجة لما تعرضوا له من ظلم وجور وإقصاء ونفي من السلطة المحتلة ، وحرمانهم من أبسط حقوقهم المشروعة في التعبير عن الرأي ، فضلاً عن إدراكهم من أن العودة لممارسة النشاط السياسي قد يؤدي بهم وذويهم إلى ما تخلصوا منه للتو ، ولاسيما بعد أن وقعوا التعهد السالف الذكر ، وازدياد الإجراءات القمعية وسياسة تكميم الأفواه من الحكومة العراقية ومن ورائها دار الاعتماد ، وهذا ما بدا واضحاً من الإجراءات التي اتخذت بحق الشيخ محمد مهدي الخالصي الكبير وذويه التي أدت إلى نفيهم خارج العراق ، وحظيت تلك الخطوة بمباركة السلطات البريطانية والملك فيصل الأول في ٢٣/ حزيران/١٩٢٣ .

لذلك أعتقد أن أعضاء الحزب مالوا إلى إتباع سياسة تهدئة الأمور وعدم تصعيدها مع الحكومة ، على الرغم من مطالبة بعض الصحف المحلية رجال الأحزاب بالاستعداد للدخول في انتخابات المجلس التأسيسي ، والتأكيد على أهمية وجود الأحزاب في الحكومات الديمقراطية كونها ممثلة للشعب وأشارت إلى أن حرمان العراق من الأحزاب النشيطة يعد من عوامل تأخر الحكومة الوطنية ، مؤكدة على رجال الأحزاب بضرورة إنعاش أحزابهم وبذل الجهود الوطنية للسعي إلى تحقيق استقلال البلاد استقلالا تاما.

النهضة العراقية

المراسلات

عبد العراق في احضان التاريخ

برقيات عامة

التظاهرات في النمسا

الاشتراكات

وأمام عزوف حزب النهضة العراقية المؤقت وباقي الأحزاب الوطنية عن مزاولة نشاطه السياسي في تلك المدة ، لم تجد بعض الصحف المحلية بداً غير توجيه النداء بضرورة إعادة استئناف الحياة الحزبية في العراق ، وعدّت حرمان العراق منها عاملاً آخر من عوامل التأخر ، وأنه يشل الحركة الوطنية بدل تنشيطها وتقويتها ، وطالبت (رجال الأحزاب بذل الجهود لإنعاش أحزابهم لخدمة الوطن) ، مشيرة إلى (أن هناك مشكلة خطيرة تواجه العراق ألا وهي مشكلة الموصل وأمر البت فيها) ، فطالبت صحيفة الاستقلال (بنهوض الشعب العراقي نهضة واحدة للتمسك بحقه والمحافظة عليها ، فهي قلب العراق وبوابته الشمالية). وطالبت صحيفة الاستقلال أيضاً (رجال الأحزاب بعد عودتهم من النفي بإعادة تشكيل أحزابهم السياسية وعدم التخوف من الاعتقال والمنفى) ، وكررت صحيفة المفيد المطالب تلك، ولاسيما أن انتخابات المجلس النيابي كانت على الأبواب التي عُدّت –حسب ما ذكرته صحيفة الاستقلال– (أساسا لتقدم الأمم الحية ، لتحقيق آمال البلاد في الاستقلال) .

دفعت هذه الخطوات أعضاء حزب النهضة العراقية ومعتمده إلى تغيير موقفهم والعودة إلى ممارسة النشاط السياسي العلني الحزبي ، ولاسيما أن وزارة السعدون قد استقالت في ١٥/تشرين الثاني/١٩٢٣ ، وشكلت وزارة جديدة برئاسة جعفر العسكري يوم ٢٦/تشرين الثاني/١٩٢٣ ، فضلاً عن فوز عضو الحزب السابق في انتخابات المجلس التأسيسي الذي أعطى الدافع المعنوي لهم بإعادة تشكيل هيئة جديدة للحزب ، لخوض الانتخابات النيابية مستفيداً من قرار المندوب السامي برسي كوكس يوم ٢٦/آب/١٩٢٢ الذي عطل عمل الحزب دون حله ، أضف إلى ذلك ظهور عدة أحزاب سياسية في هذه المدة منها حزب الأمة. وحزب الاستقلال العراقي (الموصلي) وجمعية الدفاع الوطني ، والحزب الوطني العراقي (الموصلي) وحزب التقدم ، وحزب الشعب ، لذلك كله وفي عهد وزارة ياسين الهاشمي الأولى (٢/آب/١٩٢٤-٢١/حزيران/١٩٢٥ ، أبلغ حزب النهضة العراقية وزارة الداخلية بأن حزبهم سيستأنف عمله رسمياً قريباً على وفق منهجه المعلن سابقاً ، وعدّت إحدى الصحف ذلك تحفيزاً للمفكرين في البلاد لتأسيس الأحزاب السياسية التي هي من مقتضيات الحياة البرلمانية ، وعلى هذا الأساس طالب أعضاء الحزب ومعتمده من الحكومة استعادة سجلات وأختامه وسائر أوراقه التي صودرت بعد أحداث آب ١٩٢٢ ، ونشرت صحيفة العالم العربي خبر سماح وزارة الداخلية لحزب النهضة العراقية إستئناف نشاطه السياسي العلني متمنية له أن يكون من أكبر عوامل التنظيم السياسي المؤثر في الرأي العام ، وأعلن الحزب في بعض الصحف خبر عودته للعمل الحزبي ثانية وأشار بفتح أبوابه وترحيبه بالمخلصين من أبناء البلد العاملين على اختلاف مللهم وطبقاتهم ، وأعلن أسماء الهيئة المركزية الجديدة للحزب التي ضمت (عبد الرسول جلبي كبة والسيد مهدي البير والسيد

ذاكرة

العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

محمد باقر الكاظمي والسيد خليل محمد علي الكاظمي والحاج حسين علاوي والحاج محمد حسن رؤوف الجوهر والحاج عبد المجيد مكية والحاج أمين الجرجفجي) ودعى الراغبين بالانتساب للحزب مراجعة مقر الحزب في دار أمين الجرجفجي معتمد الحزب.

ومن خلال إلقاء نظرة على أسماء الهيئة المركزية الجديدة للحزب نجد أن أغلب أعضاء الهيئة المؤسسة للحزب في ١٩/آب/١٩٢٢ غير موجودة ضمن الهيئة المركزية عدا معتمد الحزب أمين الجرجفجي وعبد الرسول كبة ومهدي البير ، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب شخصية يمكن إيضاحها كالآتي:

١-الحاج مهدي الجرجفجي: انصرف إلى مزاولة أعماله التجارية فضلاً عن أن المرض قد أعياه فأجلسه مدة من الزمن.

٢- أصف قاسم آغا: أصبح رئيساً لحزب الاستقلال العراقي الذي تشكل في لواء الموصل في ١/أيلول/١٩٢٤ . فضلاً عن تعيينه عضواً في مجلس الأعيان بعد صدور الإرادة الملكية بذلك.

٣- السيد أسد الله الحسيني: تفرغ للأعمال التجارية والدينية ، ولاسيما أنه كان أحد وجهاء لواء كربلاء البارزين.

٤- عبد الرزاق الأزري: تفرغ لعمله في وظيفته الحكومية الجديدة ، إذ عين معاوناً لمدير الأوراق في وزارة الداخلية.

٥- محمد حسن كبة: تفرغ لوظيفته الحكومية الجديدة ، إذ تم تعيينه كاتباً أول في محكمة التمييز الشرعي الجعفري ، وعضواً في المجلس المذكور أيضا.

أما الآخرون ، فأظن أنهم تفرغوا إلى أعمالهم الخاصة بعدما أدركوا ما يؤدي إليه العمل السياسي من مشاكل عديدة.

بعدما أعلن الحزب عن عودته لممارسة العمل السياسي الحزبي ثانية ، توافد بعض الأهالي من بغداد على دار معتمده أمين الجرجفجي لتدوين أسمائهم في سجل الانتماء للحزب ، كما ذكرت صحيفة المفيد وأشارت إلى أن مراسلها قد زار ديوان معتمد الحزب وشاهد بعينيه اكتظاظ أشراف القوم وأعلامهم هناك ، وتمنت الصحيفة للحزب الموفقية والنجاح.

استمر الحزب في خطته لافتتاح فروع أخرى له في الألوية العراقية المختلفة ، لاسيّما بعد أن رحبت بعض الصحف المحلية بذلك وعدّته من بوادر نضوج الحركة السياسية في البلاد ، فافتتح الحزب فرعاً في مدينة الهندية وأصبح معتمده هناك السيد محمد حسن رؤوف الجوهر ، وضم في عضويته السادة هادي المعتوق ومحمد جلبي وعبد المحسن وداعة وحسين عبد الكريم ، وافتتح فرعاً في مدينة السماوة ، وكان عبد العزيز جياد وعبد الله نايف وعلي حسن الجصان وإسماعيل إبراهيم من ابرز أعضائه هناك ، كما افتتح فرعاً له في مدينة النجف يوم ١/آذار/١٩٢٥ ، وكان السيد مهدي السيد سلمان معتمده هناك قد أعلن في إحدى الصحف المحلية رداً على ما نشرته صحيفة محلية أخرى مشيرة إلى عدم وجود فرع لحزب النهضة العراقية في النجف فجاء رده مُؤكداً بوجود الفرع ، وأنه ساع لفتح ثلاثة مراكز أخرى للحزب في النجف وأنه – أي المعتمد – ساعٍ للحصول على مكان جديد يلائم اتخاذه مركزاً لفرع الحزب بدلاً من عقد اجتماعاته في دار المعتمد.

تابع الحزب افتتاح فروعه ، إذ افتتح في ١/ نيسان/١٩٢٥ فرعاً في لواء البصرة ، وأقيمت حفلة هناك بالمناسبة ألقيت فيها الخطب والقصائد الحماسية التي عبرت عن الفرح والسرور بذلك ثم أجريت بعدها انتخابات لأعضاء الهيئة الإدارية للفرع ، لاختيار معتمد الفرع وكاتبه وأمين صندوقه وأعضائه وجاءت النتيجة على النحو الآتي كما في الجدول الآتي:

ويبدو ان توجه الحزب لزيادة نشاطه في المنطقة الجنوبية يرجع إلى إنها مناطق عشائرية ، وكسب تأييد شيخ العشيرة معناه كسب تأييد أفراد عشيرته للحزب والحصول على أكثرية الأصوات في الانتخابات النيابية ، لكنني أظن أن افتتاح الفروع بتلك السرعة قد أدى إلى نتائج عكسية حيث انضم إلى الحزب أعضاء لا تهمهم المصلحة الوطنية ومصلحة الحزب ، بل اتخذوا من الحزب وماضيه المشرف سلّماً للحصول على مقاعد في مجلس النواب ، ولاسيما أن المصلحة الشخصية والعشائرية كانت سائدة آنذاك بشكل كبير جداً ، لضعف الروابط والعقائد الحزبية ، وهذا ما بدا واضحاً فيما بعد ، فبعد مرور ما يقارب من شهر من افتتاح فرع الحزب في البصرة حدثت مشاكل هزت كيان الفرع في صميمه ، فقد تصرف بعض أعضائه تصرفاً أساءوا فيه إلى عبد المحسن كاظم جلبي الشمخاني أحد وجهاء البصرة ، ممّا تطلب تدخل المركز العام للحزب ، فسافر معتمده الحاج أمين الجرجفجي إلى البصرة للوقوف على ملابسات تلك الإساءة ، وشكل لجنة للتحقيق في المسألة ، وبعد إجراء التحقيق مع أولئك الأعضاء قرر فرع الحزب في البصرة والمركز العام للحزب في بغداد فصل أولئك الأعضاء من الحزب على وفق المادة (٣١) من نظام الحزب الداخلي ، وعلى وفق ما تقتضيه مصلحة الحزب ، وتقرر أيضا تقديم اعتذار رسمي للوجيه الشمخاني ، وتم نشره في الصحف المحلية.

وعلى الرغم من ذلك فإن الحزب كان استطاع استقطاب الأعضاء ، من ذوي الشهرة والمكانة الاجتماعية والاقتصادية إليه ، وانضم إليه كلا من إبراهيم حلمي العمر صاحب صحيفة المفيد والشيخ علي أفندي الكليدار والمحامي عبد القادر أفندي جميل الذين أصبحوا أعضاء في الهيئة المركزية للحزب ، كما انضم إليه الفائز بالانتخابات الثانوية النيابية عن المناطق المسيحية يعقوب مراد الشيخ، ليصبح عضواً في الهيئة المركزية للحزب أيضا ، وقد رحبت بعض الصحف المحلية بذلك الانضمام ، ومنها صحيفة بغداد تايمس(Baghdad Times) التي امتدحت سياسة الحزب وعدت ذلك رداً على الذين يصفون حزب النهضة بأنه حزب متعصب ، وقالت ((إنه حزب وطني يعمل للحصول على مصلحة البلاد الوطنية بين جميع طوائفها)).

اسهم الحزب في الكثير من الأنشطة الاجتماعية والثقافية التي أدت إلى إزدياد شعبيته وسمعته بين الناس ، ومن هذه الأنشطة إقامة المركز العام للحزب حفلة تأبينية بذكرى رحيل العلامة الشيخ محمد مهدي الخالصي الكبير ، حضرها عدد من وجوه العاصمة بغداد و الكاظمية ضمنهم السيد محمد الصدر ألقيت فيها الخطب الحماسية الوطنية ، وقد تناقلت بعض الصحف المحلية ذلك الخبر وقدمت الشكر للمركز العام للحزب على ذلك العمل الذي عدته أحد أفضل الأعمال التي قام بها.

ومع ذلك بدأ الضعف يدب في صفوف الحزب ، بعد انتهاء أول انتخابات نيابية في العراق ، وبخاصة في فروع الحزب ، وقد حاول معتمد الحزب أمين الجرجفجي على عاتقه تنشيط العمل الحزبي من خلال عقد الاجتماعات الحزبية في المقر العام للحزب ، أو من خلال إدامة الصلات مع العناصر الوطنية والشخصيات السياسية العراقية البارزة ، أو من خلال حضوره الاجتماعات التي كانت تعقد في دور الوطنيين ، الأمر الذي لفت أنظار البريطانيين إليه ، وبادروا بإرسال جواسيسهم للوقوف على ما يدور في تلك الاجتماعات من جهة ، والعمل على تفتيت الحزب وفروعه من جهة أخرى ، ولاسيما بعد ما أدركوا مدى قوة الحزب وشعبية وتأثيره على أغلب شرائح المجتمع وخشيتهم من امتداد نشاطه إلى مختلف طوائف الشعب ، وهذا ما أكدته التقارير السرية البريطانية التي بعث بها ضباط الاستخبارات البريطانيين في بغداد ، عن تحركات الحزب ونشاطات معتمده أمين الجرجفجي الذي أصبح –على ما يبدو– ذا ثقل سياسي واجتماعي ، مما يؤيد ذلك طلب العين يوسف السويدي الذي كان يتنافس مع السيد محمد الصدر وإبراهيم الحيدري على رئاسة مجلس الأعيان ، من الجرجفجي استخدام نفوذه للتأثير على الأعيان لانتخابه.

استمر الجرجفجي في نشاطه لتقوية الحزب من خلال سعيه ضم أعضاء من ذوي السمعة الوطنية ، فأرسل العينان حسين العطية والعين حسن الشبوط ، (لواء الكوت) وكانا –على ما يبدو– من مؤيدي الحزب ويحضران بعض اجتماعاته ، إلى جعفر أبو التمن رئيس الحزب الوطني العراقي والذي أسس نادي الإصلاح ، لعرض اقتراح عليه بدمج الحزبين تحت اسم واحد ، وقد أثارتْ هذه الخطوة مخاوف الجانب البريطاني الذي أشار إلى انه في حالة حصول ذلك الاندماج سيشكل حزبٍ قوي برئاسة أمين الجرجفجي وسيكون مناوئاً للبريطانيين بكل تأكيد. وكان الجرجفجي على علم بالمحاولات البريطانية التي تسعى إلى الحد من طموحه في تشكيل حزب سياسي قوي موحد ، وقد أشار إلى ذلك في اجتماع عقد في مقر حزب النهضة يوم ٢٩/كانون الأول/١٩٢٦.

أثار ازدياد نشاط الجرجفجي انتباه جهات عدة ، منها الملك فيصل الأول وبريطانيا ، ويبدو أن بريطانيا طلبت من الملك فيصل السعي للحد من نشاط الجرجفجي وإغرائه بإعطائه منصباً وزارياً ، فدعا الملك الجرجفجي لزيارته ، وتمت الزيارة في الخامس من آذار ١٩٢٧ ولوح له باستيزاره وزيرا للري والزراعة ، التي اقترحت وزارة جعفر العسكري الثانية (٢١/ تشرين الثاني/١٩٢٦-٢/كانون الثاني/١٩٢٨) استحداثها ، وقد درس الحزب هذا العرض في اجتماع عقد في ١١/آذار ، وأقر المجتمعون تأييد ترشيح الجرجفجي للمنصب الوزاري ، ولكن هذا الوعد لم يتحقق ولعل ذلك يرجع إلى التأثير البريطاني ، وفي النهاية اختير عبدالحسين الجلبي للمنصب في ١٦/آب ، وهو من المقربين إلى حزب النهضة العراقية.

ومع كل ذلك فان الجرجفجي سعى للحفاظ على وحدة الحزب بكل الوسائل ، ففي خضم اشتداد المعارضة السياسية للحكومة ، ولاسيما على يد رجال الدين ، الذين تعالت أصواتهم لتشكيل حزب اتحادي يضم كافة أقطاب المعارضة داخل مجلس النواب ، ولاسيما الدعوة التي وجهها الشيخ عبد الكريم الجزائري بهذا الخصوص يوم ٢٤/آذار/١٩٢٧ لعدد من الوجهاء والنواب وزيارته في اليوم نفسه مقر حزب النهضة العراقية ومعتمده بشأن كسب تأييده لتلك الدعوة ، فإن الجرجفجي رفض ذلك ، وأشار إلى أن حزب النهضة العراقية يلبي الاحتياجات في المرحلة الراهنة .

ويظهر من ذلك أن الجرجفجي أراد أن يؤكد لكل من يسعى لخدمة القضية الوطنية ، ولاسيما الذين يرغبون في كسبه إليهم ، أن حزب النهضة العراقية هو المعبر الحقيقي عن آمالهم ، ورأي المعتمد أنه ماض في السعي لتحقيق أهدافه وبرامجه المعلنةً وأنه غير مستعد للتخلي عن ذلك ، فعقد عدة اجتماعات في شهر آيار/١٩٢٧ في مقر الحزب بحضور أعضاء ومؤيدي الحزب ، تم فيها التأكيد على انتخابه معتمداً للحزب ، وتوجيه الدعوة للأهالي للانضمام للحزب أيضاً، ومن جانب آخر أخذ المعتمد يعمل على تقوية الحزب على أساس وطني ، رافضاً كل دعوة وجهت إليه لتشكيل أي حزب آخر غير حزب النهضة العراقية ، حتى إن كان الحزب الجديد تحت رئاسته ، إذ رفض طلب السيد كاطع العوادي بتشكيل حزب معارض جديد يكون تحت رئاسة الجرجفجي ، وحينما سأله النائب سعيد الخضير عن سبب رفضه أجاب بشكل لا يخلو من الفطنة السياسية قائلاً:((أنا لا أريد الارتباط بأي حزب جديد)) ، وبغية إكمال سعي المعتمد ذاك ، عقد الحزب اجتماعاً له يوم ١٦/ آيار/١٩٢٧ ، تقرر فيه إتباع كافة السبل ، لتقوية الحزب ، ممّا أثار سخط الجانب البريطاني الذي عدّ محاولة الحزب تلك هي السعي لإسقاط الوزارة العسكرية (الثانية) ، ويشير ذلك بكل وضوح إلى المحاولات البريطانية لإثارة التفرقة والحقد بين أبناء البلد الواحد ، والتشكيك بكل من يسعى لتحقيق مصالح البلاد ، فضلاً عن إثارة الجهات الحكومية حيال الحزب ، وأمام إصرار معتمد الحزب وثباته على مبادئه الوطنية والحزبية تمكن الحزب من ضم بعض العناصر البارزة إليه ، ومنهم حسن الشبوط وحسين العطية (عضو سابق في الحزب) وجعفر جلبي ، وسيد محمد القزويني وبعض رجال الدين المشهورين ، حسب ما أكدته التقارير البريطانية آنذاك.

ظهرت معارضة داخل الحزب لسياسة معتمده أمين الجرجفجي ، وطالب المعارضون وأغلبهم من الشباب المثقف بعقد مؤتمر للحزب لمناقشة ستراتيجته في العمل السياسي وانتخاب قيادة جديدة ، واستباقاً لهذه المطالبة سارع المعتمد إلى تشكيل لجنة مركزية جديدة مؤقتة وذلك في اجتماع الحزب في شهر تموز ١٩٢٧ ضمت خمسة عشر عضواً ، وأعلنت اللجنة المركزية الجديدة العامة للحزب في بيان نشرته بعض الصحف المحلية آنذاك ، على وفق المادة الثامنة من النظام الأساسي للحزب وجاء فيه ((يُعلم أعضاء الهيئة الانتخابية لأعضاء حزب النهضة العراقية كافة بالحضور في أيام ٢٨و٢٩و٣٠/ تموز/١٩٢٧ من الساعة العاشرة صباحاً وحتى الساعة الحادية عشر ليلاً من كل يوم للإدلاء بأصواتهم لاختيار أعضاء الهيئة المركزية الجديدة للحزب التي تضم تسعة أعضاء)) وأشار البيان إلى أن ((العضو الذي لا يتمكن من الحضور عليه أن يحرر كتاباً إلى معتمد الحزب يتضمن اسمه الكامل ويتضمن أسماء الأشخاص التسعة الذين يريد انتخابهم ، ومن لم يفعل ذلك تطبق عليه المادة الثامنة من النظام الداخلي للحزب)) ، والبيان موقع من رئيس اللجنة الانتخابية السيد مهدي البير ، ثم أصدر الحزب بياناً آخر حث أعضائه على ضرورة التوجه للإدلاء بأصواتهم في الأوقات المحددة سلفاً وبعد انتهاء مدة الانتخابات المحددة التي أسفرت نتائجها عن انبثاق هيئة مركزية جديدة للحزب ، ضمت كل من كما في الجدول الآتي:

الاسم عدد الأصوات

١- عبد الهادي الجلبي ١٤٠ صوتاً
٢- مهدي حيدر ١٣٩ صوتاً
٣- الشيخ حسن السهيل ١٣٤ صوتاً
٤- السيد محمد عبد الحسين ١٣٣ صوتاً
٥- المحامي عمر الحاج علوان ١٢٦ صوتاً
٦- المحامي عبد المجيد توفيق علاوي ١١٤ صوتاً
٧- المحامي عبد العزيز ماجد ١١٢ صوتاً
٨- المحامي عبد الأمير الخراز ١٠٤ صوتاً
٩- يعقوب مراد الشيخ ٩٤ صوتاً

وأصبح هؤلاء أعضاء إداريين في المركز العام لحزب النهضة العراقية ، وتم تكليف الشيخ حسن السهيل بتأليف لجنة فرعية للحزب في الكاظمية ، وتكليف عمر الحاج علوان بتأليف لجنة فرعية للحزب في لواء كربلاء ، وفي الوقت نفسه فأن انتخابات فروع الحزب في المدن لم تنته في الوقت المحدد .

ومن خلال القاء النظر على أسماء أعضاء الهيئة الجديدة للحزب نجد أنها ضمت عناصر وشخصيات وطنية وسياسية معروفة وشخصيات أخرى ذات مستوى عال من الثقافة، فضلاً عن إصدار الحزب صحيفة ناطقة باسمه سميت باسم الحزب(النهضة) وصدر العدد الأول منها يوم ١٠/آب/١٩٢٧.

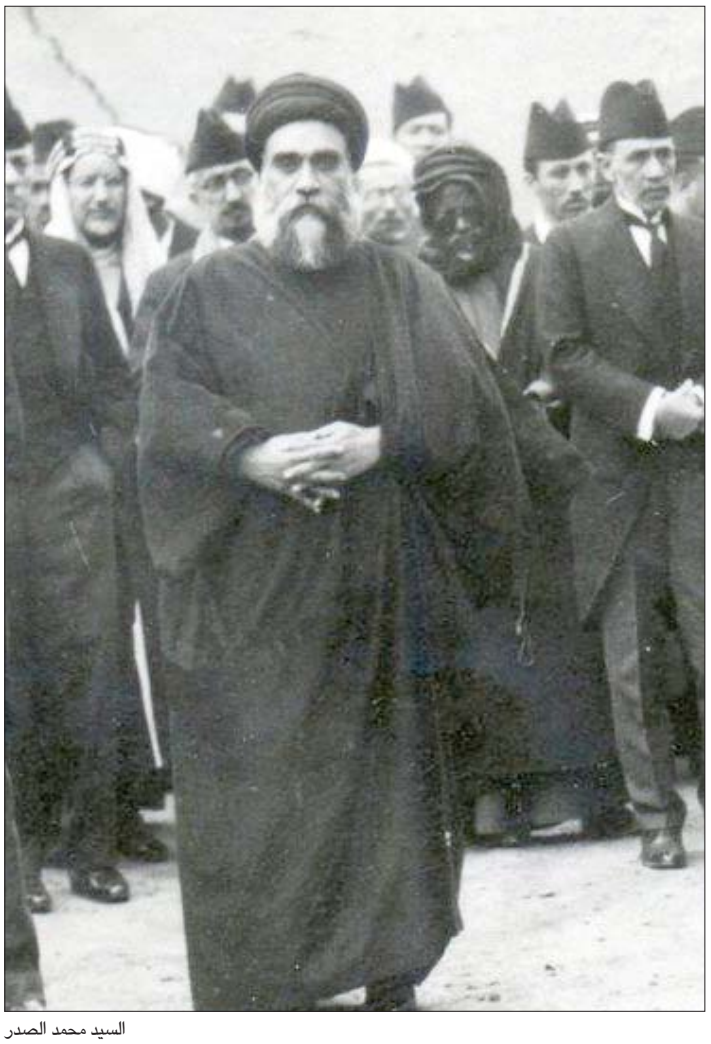

السيد محمد الصدر

العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد 1917

■ د. عماد عبد السلام رؤوف

للجمعيات والأحزاب السياسية العراقية تاريخٌ حافلٌ، ابتدأت فصوله باحتلال القوات البريطانية الغازية العراق إبان الحرب العالمية الأولى؛ فقد شهدت المدن العراقيةَ تكوينَ عدد من المنظمات، استهدفت مقاومةَ الوجود البريطاني الدخيل في العراق، وإنشاء السلطة الوطنية العربية على أراضيه، فتأسست في النجف سنة ١٩١٨ جمعية (النهضة الإسلامية) السرية، التي مهَّدت لثورة المدينة على الحكم البريطاني سنة ١٩١٩، ثم أعقبها تأسيس الفرع العراقي لجمعية (العهد) الشهيرة، في كانون الثاني من سنة ١٩١٩، و(جمعية حرس الاستقلال) في نهاية شباط من السنة نفسها، وكان لكلٍ من هذه الجمعيات دورُه المعروف في النضال الوطني التحرري في العراق آنذاك، ولا نستبعد أن تكون هناك جمعياتٌ أخرى – عمِلت في هذا المجال إبان تلك السنوات – ضاعت أخبارُها بسبب سرِّيتها الشديدة، أو بسبب الشكوك التي أحاطت بعملها، ولقِصَر عمرها الزمني.

ولقد وقَفْنا عند بحثنا في وثائق تلك الحقبة على وثيقتين فريدتين، باسم جمعية سرية عرفت بـ: (جمعية الدفاع المقدس)، يبدو أنها كانت تعمل في بغداد منذ أواخر العهد العثماني، واستمرَّت في عملها حتى بداية عهد الاحتلال.

والوثيقة الأولى عبارة عن مُلصَق جداري، مكتوب بخط اليد بعناية ظاهرة، وتاريخه هو ٢٩ آذار سنة ١٩١٧؛ أي بعد ١٨ يومًا فقط من احتلال البريطانيين بغداد، الذين دخلوها في ١١ آذار سنة ١٩١٧، أما الوثيقة الثانية فهي نسخة بخط اليد أيضًا، منقولة عن ملصق جداري آخر، وتاريخه اليوم السادس من حزيران سنة ١٩١٧، وبهذا تكونُ هذه الجمعية هي أولَ جمعية سرية لها نشاط في العراق بعد الحرب العالمية الأولى، واحتلال بغداد مباشرة.

ويُفهَم من الوثيقة المذكورة – في أسطرها الأولى – أنه قد مضت على تأسيس الجمعية آنذاك خمس سنين، فيكون تاريخ إنشائها إذًا هو سنة ١٩١٢؛ أي في مدة حُكم والي بغداد جمال بك (٢٦ آب ١٩١١ – ١٧ آب ١٩١٢م)، أو خلفه محمد زكي باشا (١٣ تشرين الثاني ١٩١٢ – ٢٢ آيار ١٩١٣م)، وكان هدفها آنذاك –على حد تعبيرها– هو "تقليص ظلِّ الحكومة التركية عدوة التمدُّن والإخاء من هذه الأصقاع العربية، والاستعاضة عنها بحكومة راقية تخلص البلادَ من ذلك الاستبداد الأسود".

وتشير الجمعية إلى أنها مارست العملَ المسلح في العهد العثماني؛ حيث كان لديها مخزن عامر بالقنابل، وتنسُب إلى نفسها مسؤولية إحراق مخزن الذخيرة (الجَبَه خانه) في تلك الأيام، وكان هذا المخزن يقع في قلعة بغداد، وإذ لم نعثُر على ما يفيد حدوث مثل ذلك الإحراق في السنين المذكورة، فليس من سبيل للتأكد من صحة هذا الادعاء، وإن كنا قد عثَرْنا على ما يدل على حدوث عدة حرائق خطيرة ببغداد سنة ١٩١٢، أحدها في معمل عسكري، فإن هذه الحرائق لم يكن أيٌّ منها في القلعة، وليست لها صلة ما بمخزون الذخيرة فيها، وأهم تلك الأحداث هو الحريقُ الهائل الذي نشب في خان النفط الواقع في محلة العُوينة، ودام أسبوعًا كاملاً، بلغ ما التهمته فيه النار ما يزيد على (١٣,٠٠٠) صندوق من النفط، و(٢٥٠) صندوقًا من مادة (السبرتو)، و(٢٠٠) صندوق من البانزين، وكان هذا أعظمَ حريق عرَفته بغداد، على ما ذكر المعاصرون في عهد الدولة العثمانية

ولم تكَدْ تمضي مدة قليلة، حتى نشب حريق هائل آخر في معمل (العبَّخانة) العسكري المخصص لإنتاج الأقمشة والألبسة العسكرية، فاحترقت جميع الأقمشة المخزونة فيه، وقُدِّرت الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحادث بنحو (٥٠٠٠) ليرة عثمانية.

وفي الوقت الذي تسكُتُ فيه المصادر عن بيان سبب هذه الحرائق المتلاحقة، فإننا نلاحظ بأنها حدَثت كلُّها في وقت واحد، وهو التاريخ الذي زعمت الوثيقتان بأنه تاريخُ تأسيس الجمعية المذكورة، وأن الحرائق أضرت بموادَّ ذات صفة عسكرية مهمة.

وفضلاً عن أسلوب العنف الذي تُذكَر به (جمعية الدفاع المقدس)، فإنها تشير إلى سلوكها أسلوبًا آخر في العمل السياسي، هو نشر المبادئ القومية والسياسية العربية، على حد تعبيرها، الذي تعتبره واجبَ كل جمعية في العالم؛ ولهذا فإننا نجدُها توصي – في بعض مطالبيها (بيان ٢٩ آذار ١٩١٧) – بضرورة مشاركة العرب من أبناء العراق في مصالح الحكومة الأهلية، وبوجوب جَعْل اللغة العربية لغة رسمية في العراق، واعتبار الأمة العربية "كأمة راقية ذات مقام كما هو حقيقتها".

وعلى الرغم من أن هذه المطالبَ وطنيَّة المظهر، فإن في الوثيقتين جملةَ أمور، من شأنها إثارة الريب حول نشأة الجمعية وأهدافها؛ فالجمعية لا تُخفي في أول بيان لها رأيَها بأن "حكومة بريطانيا هي البديل المرغوب لحكومة الترك الدابرة،" وأن أعضاءَها كانوا ينشرون الأفكار المؤيِّدة لبريطانيا حتى قبل الاحتلال، وجميع مطاليب الجمعية لا يصل إلى طلب استقلال البلاد، وإنما هي تقوم على اعتبار الاحتلال أمرًا واقعًا لا مناص منه؛ ولهذا فهي تدعو إلى أمور من قَبيل "معاملة الأهلين بالحسنى"، و"إعطاء بعض الحرية للمطبوعات"، و"حفظ الأمن العام"، و"ملاحظة الأسعار الغذائية"، ومشاركة بعض الأهالي في شؤون الحكومة.

وهذه المطالب –رغم طابعها العملي– فإنها لا تخرج في إطارها العام عما وعد به البريطانيون أنفسُهم في البيان الذي أذاعه الجنرال مود قائد جيش الاحتلال بتاريخ ١٩ آذار سنة ١٩١٧، وسنجد أن بيان وليم مارشال – الذي خلَفه في قيادة الجيش، في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ – يُشابهُ في بعض بنوده المطاليب التي دعت إليها الجمعية قبله في بيانها المذكور بنحو ثمانية شهور، فمطالبة الجمعية باعتبار الأمة العربية "أمة راقية ذات مقام"، للرد على ما يبثه رجالُ جمعية الاتحاد والترقي من "أن الإنكليز سوف يعاملون العرب في بغداد معاملتهم للطبقة المنحطة من الهنود"، تكرر – في الواقع – ما زعمه مود في بيانه من أن مأمول بريطانيا والأمم المتحالفة معها "أن تسموَ الأمة العربية مرة أخرى عظَمة وصيتًا، وأن تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوئام".

أما مطالبة الجمعية "بمشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الأهلية"، فهي لا تخرج عما دعا إليه مود، حين أراد مشاركة عدد من العراقيين في الحُكم؛ لإكسابه مظهرًا شرعيًا وطنيًا زائفًا، فقال: "إني مأمور بدعوتكم بواسطة أشرافكم، والمتقدمين فيكم سنًا، وممثليكم إلى الاشتراك في إدارة مصالحكم الملكية؛ لمعاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش، كي تناضلوا مع ذوي قرباكم شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا في تحقيق أطماحكم المترامية!".

وتطالب الجمعية في بيانها الأول بعد الاحتلال بإعفاء الجنود العرب الذين انسحبوا مع القوات العثمانية الأخرى من وسط العراق، من حصر أسمائهم في سجلات السلطة المحتلة "لما فيه من الخطر في المستقبل إذا عُدُّوا كأسرى حرب"، وقد نص بيان مارشال على تحقيق ذلك حين "سمح لأسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع إلى أوطانهم، ما عدا الذين من الجيش التركي (أي العرب فقط)، أما المطالبة "بملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حالة الفقير والضعيف"،

ذاكرة
العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

فهي ما أشار إليه بيان مارشال المذكور أيضًا بقوله: "يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن الأخرى، وتخفف القوانين الحالية بعض التخفيف"، ولو وازنّا بين كل الفقرات الواردة في بيان الجمعية الأول، وبين بيانات الاحتلال الصادرة قبله وبعده، لوجدنا أنهما كُتبا بروح واحدة تقريبًا، هذا رغم زعم الجمعية بأنها ستلجأ إلى العنف "إذا لم يلتفت إلى مطاليبها الإصلاحية".

ويؤكد بيان الجمعية الثاني (٦ حزيران ١٩١٧) على أن الجمعية لا تحمل عداءً لبريطانيا، وأنها "أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا، بشرط ألا يكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين"، وأنها تؤيد السياسة البريطانية طالما وافقت هذه السياسة حقوقَ الشعب الأساسية، دون أن تبين ما تعنيه بهذه الحقوق، وعلى الرغم من تصريح الجمعية مجددًا بأن لجوءها إلى سبيل العنف غير بعيد، وأن أعضاءها مستعدُّون للتضحية بأنفسهم في سبيل "تأييد حقوق الأمة وواجباتها" - فإن البيان الثاني يسكت هو أيضًا عن أي تلميح إلى الاستقلال، هذا مع أن بيانات الاحتلال نفسها لم تَرَ حرجًا من التلويح به في بعض الأحيان.

ويهتم البيان المذكور اهتمامًا خاصًا بمسألة مشاركة بعض الشخصيات الكبيرة من أهل البلاد في "تمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة"، وهو يرشح عشرة من تلك الشخصيات بأسمائها، مؤكدًا على عدم وجود أدنى صلة للجمعية بهم، سوى ما تعَرفه عن كفاحهم ضد السُّلطة العثمانية.

والناظر إلى الأسماء المرشحة يلاحظ أنها تضم خليطا عجيبًا من شخصيات، بعضها معروف تمامًا وله تراثه الوطني والثقافي الكبير، والبعض الآخر مغمور ليس له ماض يعرف به أصلاً، ولا يجمع بينهم سوى أن أكثرهم كانت له مواقف مناوئة للسلطة العثمانية في أواخر عهدها في العراق، وأن بعضهم لقي عنتًا شديدًا من تلك السلطة، بلغ حد أمرها بنفيه وإبعاده.

وإذا تتبعنا تراجم المرشحين نجد أن بعضًا منهم عُرضت عليه مناصب مهمة فعلاً في السلطة المحلية التي أقامتها قوات الاحتلال وقَبلَها، والبعض الآخر أبى المشاركة فيما دُعي إليه بأية صورة من الصور، مما يؤكد عدم وجود صلة ما بينه وبين ترشيح الجمعية له في بيانها المذكور، وواضح أن أولئك المرشحين كانوا ينتمون إلى الديانات الثلاث جميعًا: الإسلامية، والنصرانية، واليهودية، على النسب الآتية:

مسلمون، ينتمون جميعًا إلى أُسَر مهمة أدت أدوارًا مؤثرة في تاريخ العراق الحديث، ثلاثة منهم من العلماء الذين تولوا مناصب شرعية وإدارية وتجارية بارزة، هم:

١- محمود شكري الآلوسي (عالم ومدرس).

٢- عبدالمجيد بك الشاوي (أديب وإداري).

٣- عبدالرحمن أفندي بن مصطفى جميل (عالم ومدرس).

٤- السيد موسى الكيلاني (عالم ومن الملاكين).

٥- حمدي أفندي الباجه جي (تاجر ووجيه)، وعبداللطيف ثنيان (صحفي).

نصارى، وأولهم مطران الطائفة السريانية، ولم يسمِّه، ولم يعين ما إذا كان مطران السريان الكاثوليك أم السريان الأرثوذوكس، والراجح أنه قصد الأول منهما، وثانيهم تاجر أرمني عُرف بنشاطه المناوئ للعثمانيين.

ولنا أن نلاحظ أن الوثيقة تلقِّب السيد محمود شكري الآلوسي باسم (سيادة)، وهو اسم لم يكن يُعرَف به العلماء المسلمون، وإنما كانوا يعرفون باسم (شيخ) مطلقًا، بينما كان اسم (سيادة) يختص به المطارنة دون غيرهم، فيعرف أحدهم باسم (سيدنا) تمييزًا له عن سائر الدرجات الكهنوتية.

يهود، هم حاخام الطائفة اليهودية في بغداد، ومناحيم دانيال (تاجر معروف).

يمكننا القول إذًا - بناءً على ما تقدم - بأن الجمعية كانت:

١- لا تميل إلى أيِّ استقلال سريع عن بريطانيا.

٢- تريد تشكيل حكومة محلية من الأهالي - أو يشارك فيها الأهالي - تتولى تنفيذ الإصلاحات التي تراها ضرورية، وربما كان ذلك تحت إشراف بريطانيا نفسها.

وإذا طرحنا جانبًا أن تكون الوثيقتان من إصدار سلطة الاحتلال، أرادت بهما إظهار سياستها وكأنها استجابة لمطالب شعبية عامة، وافترضنا وجود الجمعية على ما أعلنت هي عنه، وأنها المسؤولة فعلاً عن إحداث الحرائق في المنشآت الحيوية ببغداد إبَّان العهد العثماني: فإن الجمعية - كما نستنتج من كل ما عرضناه - كانت تضم بعض الفئات التي شعرت بأن مصالحها مرتبطة - بعد انقضاء الحكم العثماني في الأقل - باستمرار وجود نوع من الإشراف البريطاني على الحكم في العراق، ولو إلى حين، ومن ناحية أخرى فإن اسم الجمعية نفسه لا يقع في ضمن سياق أسماء الجمعيات الوطنية التي أسسها العرب المسلمون عهد ذاك، لا سيما بإضافة صفة (المقدس) بعد اسمها الأول (الدفاع)، ولعل الأيام تكشف لنا عن حقيقة هذه الجمعية، مما يُلقي ضوءًا جديدًا على تاريخ الجمعيات السرية في العراق.

الوثيقة الأولى علقت على الحائط ببغداد في ٢٩ آذار ١٩١٧

(هذا بلاغ للناس)

لقد مر على تأسيس جمعيتنا - جمعية الدفاع المقدس - ما يقارب الخمس سنين، ونحن نحارب في خلالها حكومة الأتراك بما ننشره بين الشعب من المبادئ القومية، والسياسية العربية، وما هو الواجب الذي تشكَّل من أجله كل جمعية في العالم.

وكانت أكثر مقاصدنا السياسة هي تقليص ظل الحكومة التركية عدوة التمدُّن والإخاء من هذه الأصقاع العربية، والاستعاضة عنها بحكومة راقية تخلص البلاد من ذلك الاستبداد الأسوَد.

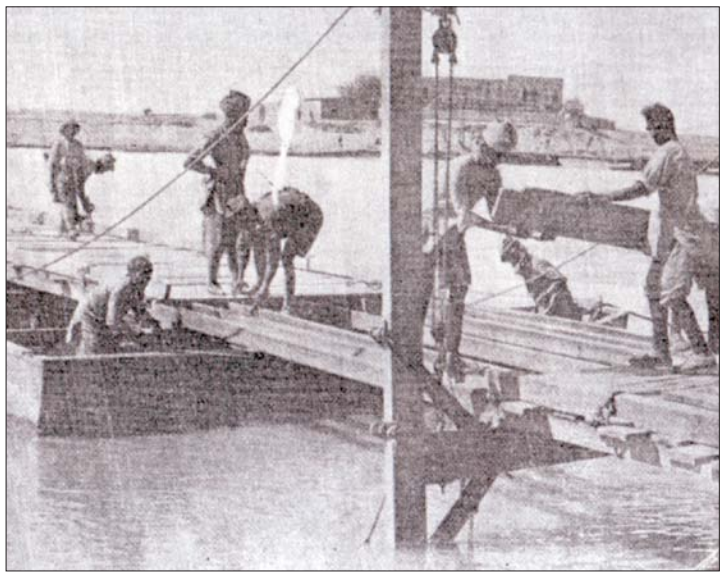

والذي نعرفه حقيقيًّا أن حكومة بريطانيا هي الجديرة بهذه الثقة؛ لذلك كنا ننشرُ بكل قوانا المبادئَ الإنكليزية بين أبناء العراق بصورة رشيدة؛ حذرًا من البوليس السري المعروف أمره من أبناء بغداد في تلك الأيام.

وبما أن جمعيتنا من مبادئها أن تبقى سرية، حتى ولو أصبحت بغداد أمريكا الثانية؛ لذلك نحن ننشرُ هذا البلاغ باسم جمعيتنا، طالبين من حكومة الاحتلال إجراء مقرراته.

أولاً- جعل اللغة العربية لغةً رسمية في العراق، كما اللغة الإنكليزية في ممالك بريطانيا الفخيمة.

ثانيًا- مشاركة العرب من أبناء العراق الناهضين بمصالح الحكومة الأهلية، بدون فَرْقٍ بين الملل المختلَفة في العقائد والنِّحَل.

ثالثًا- ملاحظة الأسعار الغذائية المتوقف عليها حال الفقير والضعيف.

رابعًا- توصية الجيوش المحتلة بمعاملة الأهلين بالحسنى.

خامسًا- حفظ الأمنية العمومية؛ نظرًا لفقدانها في كل أيام الاحتلال.

سادسًا- إعفاء الجنود العربية من التحرير الذي تعمله الحكومة الآن؛ لما فيه من الخطر في المستقبل إذا عُدُّوا كأسرى حرب.

سابعًا- ملاحظة الوشايات التي يتذرَّع بها أرباب الأغراض للإيقاع بالغير.

ثامنًا- إعطاء بعض الحرية للمطبوعات؛ رغبة بالوقوف الزائد على أفكار الأحرار في العراق.

تاسعًا- اعتبار الأمة العربية كأمة راقية ذات مقام، كما هو حقيقتها، لا كما يدسُّه جمعية الاتحادمن أن الإنكليز سوف يعاملون العرب معاملتهم للطبقة المنحطة من الهنود.

عاشرًا- تقديم الشكر الزائد لدولة الجنرال سر.ف.س مود]، قائد الجيوش المحتلة على منشوره الأخير في خطاب البغداديين، وتعريفه بالوقت نفسه أن جمعيتنا عربية عمرانية وطنية فوضوية سرية، بمعنى أنها إذا لم يُلتَفَتْ إلى مطاليبها الإصلاحية ترجع إلى الفوضى سريًّا، والسلام.

باسم أعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد

×××

الوثيقة الثانية علقت على الحائط ببغداد في ٦ حزيران ١٩١٧

(الحق فوق القوة)

إن جمعية (الدفاع المقدس) ليست بعدوة لدولة بريطانيا، حتى أخذت الحكومة أسباب التفتيش عنها بواسطة الجواسيس والمراقبين، لا، بل العكس أن جمعيتنا من أول واجباتها تمشية السياسة الإنكليزية بين العراقيين بصورة موافقة لحفظ حقوقهم الأساسية، وما دامت الحكومة لها نية حسنة نحو أبناء هذه البلاد، فلا يجب أن تلاحظ من أعمال جمعيتنا التي مهدت إلى الجيش الإنكليزي إقبال البغداديين يوم الاستيلاء، بما كانت تبثه في الخمس سنين الماضية في السياسة الحبية لحكومة الإنكليز.

فجمعية الدفاع المقدس هي أول صديقة صادقة لدولة بريطانيا، بشرط ألا يكون لها غير النوايا الحسنة نحو العراقيين؛ حذرًا من إيجاد الأسباب التي كرَّهت الأتراك إلى جمعيتنا، وجعلت لنا طريقًا واسعًا لتمشية سياسة الجمعية ضد سياسة الأتراك الإجبارية.

على أن جمعيتنا لها خطة رشيدة في ترويج سياستها الوطنية، لا يخشى عليها من جلب أنظار الجواسيس والمراقبين، وبالوقت نفسه لا تبالي بالتهديد والوعيد؛ لأن أعضاؤها[١٨] يفضلون الموت على الحياة في تأييد حقوق الأمة وواجباتها، ولكن بالصورة السرية حسب نظام الجمعية الذي يجب العمل بموجبه.

ومتى حان وقت الضحية، فالقنابل كثيرة في مستودع جمعيتنا السري، ولم ينقص منها سوى واحدة يوم إحراق الجبخانة في القلعة أيام الأتراك.

وقرار جمعيتنا الأخير الذي أوجب نشر هذا البيان، هو تأييد المطالب الإصلاحية التي أعلنتها جمعيتنا أولاً، والتي عملت الحكومة ببعض منها، وتركت البعض الآخر بدون أن يكون لها عُذر في ذلك الترك، وتكرار الطلب تمشية الإصلاحات الضرورية للبلاد، وتشريك أفراد العرب الناهضين بتمشية أمور الحكومة المحلية بصورة موافقة للعدل والاستقامة، وبعد كل هذا تحرض جمعيتُنا حكومة الاحتلال من الاعتماد على بعض المفسدين الذين يقفون عثرة سبيل الإصلاحات العمومية؛ لأن هذا الاعتماد أوجب الاستياء العمومي الذي بدأت علائمُه تظهر في الوجوه.

وإذا كانت الحكومة حتى الآن لا تعرف مَن تعتمد عليهم في مثل هذه الشؤون التي تحتاج إلى الكفاءة والاختيار، فيمكنها أن تعتمد على أناس ترشِّحهم جمعيتُنا بدون أن يكون لجمعيتُنا أقل علاقة بواحد منهم، ولكن الجمعية تعتمد في هذا الترشيح على الاختيار والتجربة والشهرة، وفيما نعرفه أن هذا الترشيح سوف يوافق الجميع؛ لأن الذوات الآتية أسماؤهم ممن تهمُّهم مصلحة الحكومة الحاضرة، بالنظر لما صادَفه أكثرهم من الامتهان أيام الأتراك، وإلى الحكومة أسماؤهم:

١- سيادة محمود شكري الآلوسي.

٢- سيادة مطران الأمَّة السريانية المسيحية.

٣- سيادة خاخام الأمة الإسرائيلية.

٤- عبدالمجيد بك الشاوي .

٥- عبدالرحمن أفندي جميل.

٦- سيد موسى أفندي الكيلاني.

٧- ميخائيل أفندي ياغجي .

٨- مناحيم أفندي صالح.

٩- حمدي أفندي الباجه جي.

١٠- عبداللطيف أفندي ثنيان.

وبعد الوقوف على هذا البيان، يجب مراجعة عنوانه. باسم أعضاء جمعية الدفاع المقدس السرية في بغداد.

جاء في تقرير من تقارير الشرطة مؤرخ في ٧ تموز سنة ١٩١٩ أن "كل عربي مسلم في بغداد لديه شيء من الثقافة كان ينتمي إلى جمعية لها فروع في جميع البلدان المهمة في العراق، وهذه جمعيات تسعى لاتحاد العرب ومناوأة الأجانب، وغرضها طرد الإنكليز وتأسيس حُكم عربي. كانت هاتان الوثيقتان من مقتنيات خزانة الأب أنستاس ماري الكرملي (توفي ١٩٤٧)، في دير الآباء الكرمايين ببغداد، وقد وهبها إلى الأستاذ ميخائيل عواد (المتوفى سنة ١٩٩٥) على ما أخبرني الأخيرُ في مكتبة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٤، فلبثت في خزانته أمدًا من الدهر، حتى آلت ضمن مجموعته من المخطوطات والوثائق إلى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد، (نقلت مخطوطات هذه المكتبة إلى مكتبة المتحف العراقي، قسم المخطوطات، وهي اليوم المركز الوطني للمخطوطات)، وفي أعلى الوثيقة الأولى تعليقة بخط الأب الكرملي تفيد بأن هذا النص هو بعينه الذي علق على الحائط"، وفي آخرها تعليقة له أيضًا نصها: "علق في ٢٩ آذار ١٩١٧"، والوثيقة مكسرة الأطراف، وبخاصة من طرَفها الأعلى الأيمن، من أثر انتزاعها - فيما يبدو - من الحائط الذي ألصقت عليه، أما الوثيقة الثانية فهي منقولة "من الأصل الذي عُلق على الحائط"، على ما جاء في تعليقه للكرملي أيضًا في أعلاها، ومن الملاحظ أن كلاً من الوثيقتين خالٍ من البسملة التقليدية.

العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

اول هاتف ارضي عرفه العراقيون

■ خالدة بابان

منذ ان وطئ الانسان على سطح الارض كان يكافح من ضمن متطلباته العديده والضروريه الى وسيله للاتصال بينه وبين الاخرين وكانت اللغه التي تطورت الى الاشارات ومن ثم الى طرق تخاطب مباشر ثم اشارات عن بعد وهكذا كانت البدايه لاسلوب المواصلات .على مر التاريخ، استغل الإنسان نمو معرفته بالبيئة المحيطة، واكتشافه لقوانين الطبيعة المختلفة، في تطوير وسائل الاتصال، حتى اشتملت على البرق السلكي والهاتف السلكي، وبرق كاتب، وهاتف لاسلكي وهاتف خلوي، وشبكات الحاسب الآلي، والاتصال عبر الأقمار الصناعية . تحسن الاتصال بين الأشخاص والجماعات، مع ظهور اللغات واللهجات. واستحدث الإنسان أول نشرة أخبار عرفها التاريخ، تمثلت في شخص المنادي، الذي ينتقل من مكان إلى آخر، ويجذب انتباه الجماعة، بإلقاء الأخبار أو المعلومات، التي كلف بتوصيلها. وبالأسلوب نفسه،

استمرت وسائل الاتصال المباشر: الصوتية والمرئية، بواسطة الإنسان، مستخدمة أسلوب إعادة الإذاعة في نقل الرسائل المرئية من مكان إلى آخر؛ فاستخدمت، مثلاً، المرايا العاكسة في نقل الإشارات والرموز المختلفة، واستخدم الأسلوب، الذي أطلق عليه "سيمافور"، والمتمثل في أعمدة خشبية مرتفعة، على قمتها أذرع ميكانيكية بألوان مختلفة، تعبّر حركاتها، والفواصل بين الحركة والأخرى، عن رموز تراسل محددة. وتتكرر إذاعة الرسائل من عمود سيمافور إلى العمود الذي يليه، حتى تصل إلى المستقبل النهائي.

استمر الإنسان في سعيه الدائب، لاستحداث وسائل الاتصال وتطويرها؛ فبعد اكتشاف الكهرباء، فكر العلماء في كيفية تطويعها لتحقيق الاتصال، واختصار المسافة والزمن.

وأنشئت أول شبكة برق كاتب في الولايات المتحدة الأمريكية، امتدت أعمدتها موازية لخطوط السكة الحديدية، لتربط بين جميع أنحاء البلاد. وسمحت الشبكة الجديدة بتبادل الرسائل، خلال أسلاك البرق الكاتب، عبر آلاف الأميال، في ثوانٍ معدودة. وفي عام ١٨٥٨، مد أول كبل بحري للبرق الكاتب، عبر المحيط الأطلسي، ولكن هذا الكبل تحطم خلال أسابيع قليلة؛ وتكررت المحاولة، بنجاح، في عام ١٨٦٦، وقد جعل هذا الكبل نقل الرسائل، عبر المحيط الأطلسي، خلال دقائق قليلة فقط، أمراً ممكناً.

وقبل نهاية القرن الثامن عشر، أصبحت الاتصالات، داخل الولايات الأمريكية، تعتمد اعتماداً رئيسياً على البرق الكاتب، الذي أصبح منافساً لنظام البريد الأمريكي؛ وسريعاً ما انتشر استخدامه، في أنحاء متفرقة من العالم. ومنذ عام ١٨٥١، أسهم البرق الكاتب في نمو الأسواق الاقتصادية العالمية، حيث ربطت بشبكاته السلكية بورصات كل من لندن وباريس. وقبل نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت مراكز الأعمال والمكاتب الحكومية، مرتبطة بشبكاته، كما كان تبادل الرسائل الشخصية أمراً ميسوراً، عبر مكاتبه التجارية المنتشرة في كل مكان.

إضافة إلى التأثير: الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لاختراع البرق الكاتب، فقد أثر تأثيراً مباشراً في الأعمال العسكرية؛ إذ استخدم، خلال الحرب الأهلية الأمريكية، في توجيه القوات، وتوفير الإمدادات والمعاونة، وإبلاغ معلومات الاستخبارات المرتبطة بأعمال القوات المعادية وتحركاتها. ولأهمية البرق الكاتب، عسكرياً، أقر الكونجرس الأمريكي، عام ١٨٦٢، تشريعاً، مكن الرئيس لينكولن من السيطرة على جميع خطوط التلغراف في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أدى هذا إلى إنشاء القوة المدنية للتلغراف العسكري، التي استخدمت أكثر من ألف عامل تلغراف، والعديد من العمال المعاونين لهم؛ وسرعان ما أصبح هذا الكيان سلاح الإشارة، التابع لقيادة الجيش الأمريكي.

وفي عام ١٨٦١، نجح العالم الألماني، جوان فيليب رايس الفعلي العملي لجهاز الهاتف، إلى العالم ألكسندر جراهام بل Alexander Graham Bell، الذي اكتشف، عام ١٨٧٦، هو ومساعده توماس واطسون Thomas Watson، وسيلة لنقل الصوت بواسطة التيار الكهربائي. ومثله مثل البرق الكاتب، حقق تأثيراً بالغاً في الاقتصاد، والأداء: الحكومي والعسكري، والسياسة الخارجية، وكل مجال من مجالات النشاط الإنساني.

وبحلول عام ١٩٠٠، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية، تستخدم أكثر من مليون جهاز هاتف، ترتبط فيما بينها من خلال شبكة

الهاتف الوطنية. كما عملت الدول الصناعية الأخرى على بناء شبكات الهاتف الخاصة بها، وكان معظمها، في هذا الوقت، شبكات تملكها وتتحكم فيها الحكومات. ونظراً إلى المعايير الأمنية، تأخر عبور خطوط شبكات الهاتف للحدود السياسية لمعظم الدول. وفي عام ١٩٣٩، فاق عدد المكالمات الهاتفية، في الولايات المتحدة الأمريكية، عدد الرسائل البريدية. ولم يمض أكثر من ٢٥ سنة على اختراع الهاتف، حتى أصبح شائع الاستخدام في مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا. وخلال اواخر القرن التاسع عشر، مُدت مسافات طويلة من خطوط الهاتف، كونت شبكة ضخمة، ساعدت على تحقيق الاتصالات الشخصية.

ومنذ بداية القرن العشرين، أصبح جهاز الهاتف موجوداً في كل مكان، خاصة في الدول الصناعية. ففي مجال الأعمال والاقتصاد، أسهم الهاتف في تقليل الزمن، الذي يستغرقه عقد الاتفاقات وتنسيقها وتنفيذها، بفاعلية أكثر من التي أتاحها اختراع البرق الكاتب. أمّا بالنسبة إلى المجال: العسكري، والدبلوماسي، فقد ساعد الهاتف والبرق الكاتب، على توفير الاتصال الشخصي، لضمان المزيد من التنسيق والتفاهم في المواقف المختلفة؛ وأسهما معاً، وخاصة في المجال العسكري، في زيادة سرعة إيقاع الأعمال العسكرية، وتقليل زمن رد الفعل، وزيادة المرونة في استخدام القوات والإمكانيات.

وقد واكب اختراع الهاتف اختراع آخر، استغل شبكات خطوط الهاتف، التي أصبحت تغطي معظم سطح الكرة الأرضية، وهو اختراع الفاكس Fax، الذي ينقل سلكياً صورة الوثائق المختلفة، من مكان إلى آخر. وقد عاون هذا الاختراع، إضافة إلى الهاتف والبرق الكاتب، على تغلب الاتصالات على عقبات الزمن والمسافة والموقع.وكانت تسمى هذه الصور (المنقوله بالاسلكي) او بالراديو..

العراق والهاتف

كانت المواصلات في العراق تعتمد على ما تقدمه الدوله العثمانيه والتي كانت اساسا تعتمد على اوربا في موضوع الاتصالات وكان في العهد العثماني خط برقي كاتب يربط بين الولايات وبعض المدن حتى فترة متأخره من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واستخدم العراق البرق بواسطة المورس كوسيله للتخاطب وحتى منتصف القرن العشرين.

كان دخول أول خدمة هاتفية إلى العراق عام ١٩١٠ لأغراض معينة ومحدودة جدا. وفي عام ١٩١٩ نصبت في بغداد بدالة يدوية صغيرة في جانب من جامع الإمام الأعظم ربط بها عدد من الهواتف الخاصة بالدوائر الرسمية، ونصبت بدالة في البصرة وكانت أوتوماتيكية وعرفت ببدالة العشار.

وبعد تأسيس الحكومة العراقية الملكية عام١٩٢١ كان أول بيت دخله الهاتف في بغداد بيت توفيق السويدي، وقد حصل على رقم (١) وكانت طريقة الاتصال بالأشخاص تتم من طريق تدوير القرص لكي يتصل بالبدالة ويكون مأمورها

ارشد العمري

توفيق السويدي

مسؤولاً عن الحصول على الرقم المطلوب. أما عن المكالمات التلفونية العمومية فقد وضع لأول مرة في بغداد دائرة بريد باب الأغا، قرب جامع مرجان بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٢٧ بسبب عدم إقبال المواطنين على نصب الهواتف في مساكنهم ومتاجرهم....

عملت مديرية البريد والبرق العامة على تشجيع الأهالي على نصب الهواتف في مساكنهم، فأصدر أرشد العمري، المدير العام للبريد والبرق منشوراً برقم ٢٣ وبتاريخ ١٥ آذار ١٩٣١ قرر فيه منح مبلغ نقدي مقداره ١٠ روبيات حوالي ٧٥٠ فلساً عراقياً مكافأة لكل موظف بريدي يقنع مواطن على نصب هاتف في مسكنه أو محله. فأصبح عدد الهواتف المركبة في عموم العراق عام ١٩٣٢ حوالي ١٨٧٦ هاتفاً وحدث تطور في مدّ خدمة الهاتف إلى الألوية، والمدن العراقية المهمة، ففي عام ١٩٢٤ مُدّت أسلاك الهاتف بين الناصرية وسوق الشيوخ. وفي عام ١٩٢٩ مدّت أسلاك الهاتف بين بغداد والحلة. ونظراً لأهمية الهاتف فقد سعت الدائرة إلى مدّ خدمة الهاتف إلى الدول المجاورة للعراق، ففي عام ١٩٣٥ مدت أسلاك بين العراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين ، وشرق الأردن، ومصر.

ولتحفيز الناس على الاستفادة من خدمة الهاتف فقد خفضت أجور المخاطبات للمسافات البعيدة داخل العراق وأصبحت هذه الأجور بسعر موحد للمخاطبات وقسم اليوم إلى ثلاثة مدد لكل منها تسعيرة خاصة المدة الأولى من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة الثانية ظهراً، والثانية من الساعة الثانية ظهراً حتى الساعة السابعة مساء، والثالثة من الساعة السابعة مساء صباحاً وحتى الساعة السابعة مساءً، وأصبحت وحدة المخاطبة في المدة الثالثة، خمس دقائق بدلاً من ثلاث دقائق.

ونتيجة للتطورات العالمية للاتصالات أدركت وزارة الأشغال والمواصلات أهمية الأخذ بالتطورات التكنولوجية الحديثة، ولاسيّما مع تزايد الشكوى من الارتباكات التي تحدث في أثناء الاتصالات فقررت استبدال البدالات اليدوية بالبدلات الأوتوماتيكية، ورصدت المبالغ لهذا المشروع، ونصبت أول بدالة أوتوماتيكية في عام ١٩٣٨ في الكرادة الشرقية ذات ٣٥٠ رقم سميت بدالة الجنوب. وبعد إكمال مد خط السكة الحديد بين الموصل وتل كوجك قررت مديرية البريد والبرق مَدّ أسلاك هاتفية وبرقية من تل كوتشك إلى الموصل بمحاذاة سكة القطار لربط المحطات، ومخافر الشرطة بعضها ببعض وقد وضعت الترتيبات اللازمة لتجهيز خط تلفوني منفصل إلى الحدود السورية يوصل العراق بسورية بلا توسط فلسطين بعد إكمال الخطوط في داخل حدودهم، وقد أوفدت مديرية البريد والبرق هيئة خاصة للقيام بمدّ الخطوط المذكورة تحت إشراف الشعبة الفنية في الموصل.

استمرت الوزارة بالتوسع في مجال الخدمة الهاتفية، فبدلت بدالة الصويرة ذات ٢٥ خطاً بالقديمة ذات ١٨ خطاً، وانجز نصب بدالة ذات ستة خطوط في حمام العليل. وأنجز نصب بدلات في المدن العراقية الأخرى. وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٣٨ أجرى أول اتصال لاسلكي مباشر مع لندن، وكندا، والولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام ١٩٣٩ نصبت ١٤ بدالة في بغداد بلغت سعتها ١٠٨٥ خطاً هاتفياً ..

كانت جميع البدالات والتجهيزات من مناشيء غربيه وعلى الاخص الانكليزية حتى تموز ١٩٥٨ حيث جرت محاولات لتبديل الاجهزه من مناشيء شرقيه ومنها البدالات البولونيه (الكروس بار) ولكنها فشلت بسبب الحراره ومن ثم غيرت الى النوع الامريكي وتتطورت الى الهواتف الرقميه وبدلت الاجهزه باحدث مما كانت عليه ودخلت الصناعه العراقيه على الخط وبدأ انتاج اجهزة الهاتف في شركة الصناعات الالكترونية وتطورت معها وسائل الاتصال ودخلت خدمة المايكروويف في منتصف السبعينات وانشأت المحطات الفضائيه وخدمة التلكس والفاكس والهاتف اللاسلكي الى ان اصبحنا نحمل اكثر من عشرين جهاز بحجم كبير ووزن ثقيل في ايدينا عبارة عن هاتف صغير نتحدث به مع كل اقطار العالم من اي مكان نحن فيه ولاندري الى اين سيصبح التقدم العلمي في هذا المجال بعد ان كنا نسجل على مكالمه للبصره او الموصل من الصباح حتى المساء لكي تتم وتسمع صوت المتصل يصل الى سابع جار هذا اذا تمكن من الاتصال اصلا؟؟؟

جوان فيليب

الملك فيصل الاول مع اخيه الملك علي

عدسة زاكرة عراقية

الاعظمية في الأربعينات

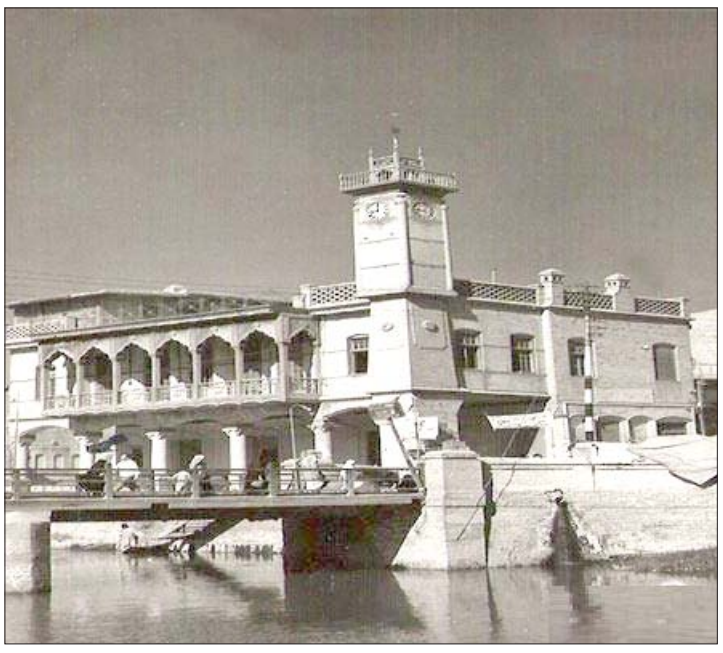

ساعة سورين في البصرة

ذاكرة
العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

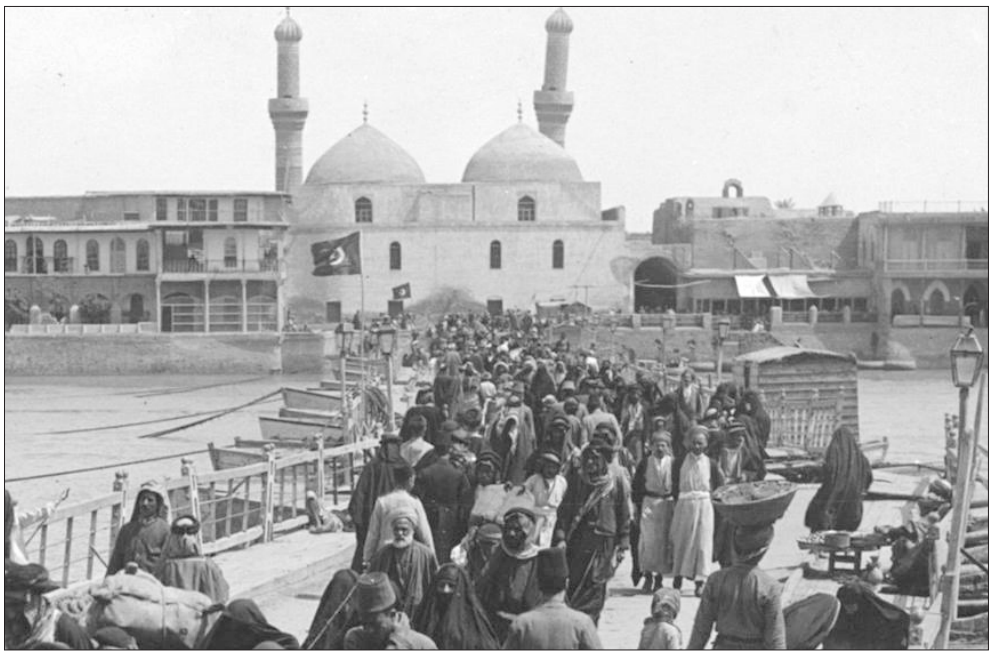

صورة لجسر بغداد العتيق في العهد العثماني

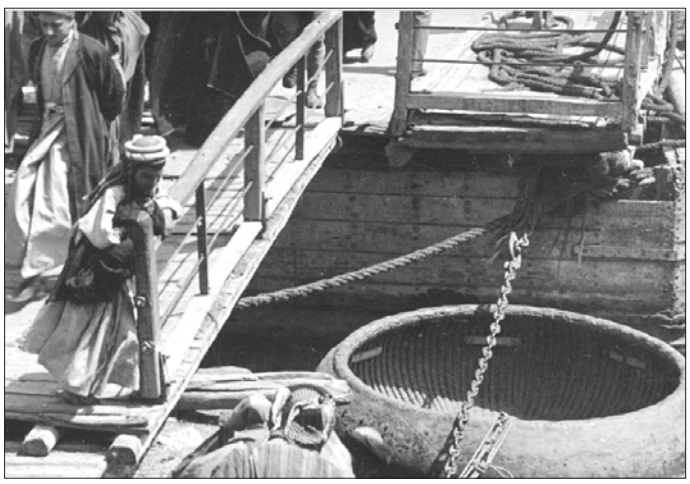

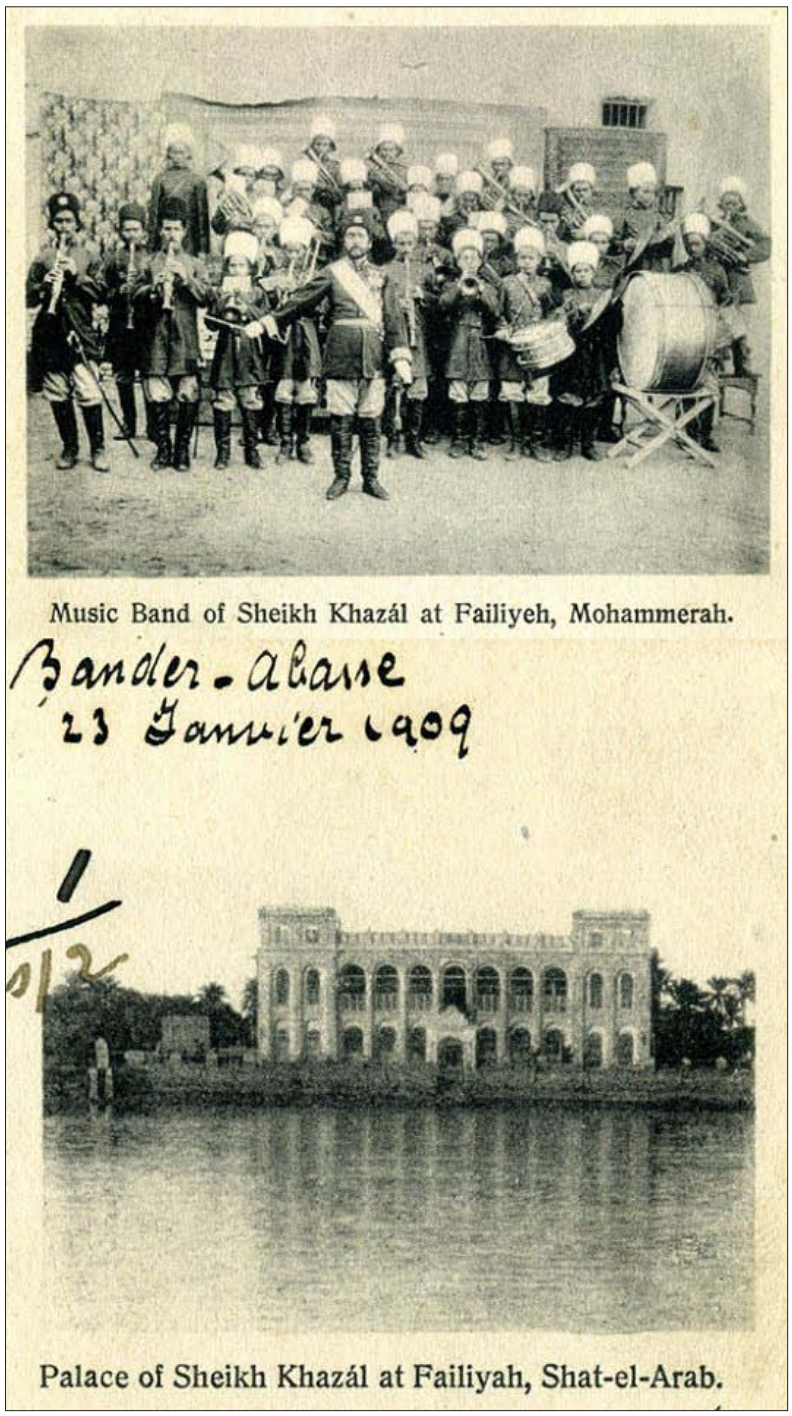

قصر الشيخ خزعل في البصرة وجوقة الموسيقى

جسر كمون العمارة ١٩١٨

العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

معارك ابراهيم صالح شكر الصحفية والسياسية

■ اريج ناظم يونس سيالة

كثيرا ماكانت تقع بين أرباب الصحف وأصحاب الفكر وشخصيات الساسة ورجال المجتمع خلافات في الرأي أو في النزعات التي يرنو اليها كل فريق منهم في وجهات النظر المتباينة في موضوع ما وكثيرا ماكانوا يصبون عما يجيش بخواطرهم على صفحات الجرائد والمجلات لتكون معركة حامية الوطيس بين الفريقين وإبراهيم صالح شكرواحد من الذين كانت لهم خصومات صحفية متعددة فقد لاحق في صحفه كبار مشاهير الادب والعلم من امثال الاب انستاس ماري الكرملي الذي لاحقه في كل غلطة وفي كل هفوة وكان ينشر انتقاداته للكرملي في باب (انستاسيات) وبتوقيع مستعار (مغربل) باسلوبه الفكه وتعابيره المبتكرة التي يشيع فيها روح التهكم وصراحة النقد ففي باب (انستاسيات) والذي خصصه لانتقاد الكرملي كتب قائلا (والان دعنا نتفاهم ياانستاس. لنفرض الان جدلا انك (تقن) في كل شئ. في اللغة والاشتقاق والاستنباط ولكن بالله عليك اخبرني ماهي الفائدة من الاشتغال بهذه الموضوعات العقيمة التي اقل مايقال فيها انها تقرف النفوس وتدق الاعناق وتحبب الموت إلى القراء بلاجدوى... ها قد افنيت طيلة عمرك في هذه السفاسف فما هي الخدمة التي قدمتها إلى العالم وللعلم؟... ماذا يهم العالم اذا كانت لفظة "قرد" اصلها "قرديبوس "او "قردیباس"؟...) وفعل مثل هذا مع الشاعر والصحفي شكري الفضليا ما الزهاوي وكما مر سابقا فقد كان نصيبه كبيرا من النقد اللاذع والوخزات الشديدة ومنها ماجاء تحت عنوان (العروش الهاوية) فكتب (كان الزهاوي يوما من الايام فريد عصره ووحيد دهره، اذا نطق ارهفت اليه الاسماع واذا كتب التهمت مايكتبه الاحداق وكان قوله فصل الخطاب وحكمه هو الصواب، وداره كعبة القصاد ومحط الرواد من كل فج عميق وصقع بعيد. ولم يكن ثمة من يجرا على رده ولم يكن ثمة من يقدم على نقده، ولكن ماهي الاعشية وضحاها حتى قلب له الدهر ظهر المجن فقام عليه قيامة الادباء، وسلقته اقلامهم بالسنة حداد، ومازالوا به حتى خلعوه عن عرشه "سلطانه" وانزلوه عن ظهر "اتانه" وهاهو اليوم يقاسي مضض هذا الدهر الخؤون وغدره منزويا في زوايا النسيان والاهمال "ولايدوم الاوجهه الكريم"!!.....)

وهاجم إبراهيم صالح شكر البحاثة يوسف غنيمة واصفا ابحاثه بالتافهة والبليدة وان خطاباته تفصح عن ضعفه باللغة العربية فكتب قائلا (اما الاستاذ (البحاثة) و (الزميل) العلامة يوسف افندي غنيمة فاني كثير الشوق إلى (لحنه) في (الخطب) الرنانة، وان (كفر) بهذا الشوق (المرحوم سيبويه)!! فان

لحن (الاستاذ البحاثة) وتعثره في (اللغة) اذا خطب لما يبعث في نفسي الضحك والضحك ضروري للحياة، ولاسيما في هذه الايام. ولولا تهيب (الاستاذ) غنيمة من (الحفلات السياسية) لسعيت إلى اقامة (حفلة) كبرى احتفاء (بذكرى تمنيه الوزارة) اذن لما وسعه الابان (يخطب) فيها، واذن لضحكت كثيرا فان (خطاباته) كلها سخف.....) كما انتقد مفتي الموصل وشاعرها محمد حبيب العبيدي واتهمه باستغلال الفرص لمصلحته الشخصية وادعاء المعرفة بكل العلوم فضلا عن تشويهه ألقضية العريبة في كتابه (حبل الاعتصام) فكتب مانصه (العبيدي من الزعماء او المتزعمين في العلوم والاداب والشعر والنثر والخطابة والمنطق والحكمة والفلسفة والتاريخ والاجتماع، ومايعرفه الانس والجن والملائكة، وفي السياسة كذلك. في بقعة من بقاع العراق تسمى الموصل. اما عينه فتطمح إلى بسط الزعامة على العراق كله، بل العالم الاسلامي، بل العالم الشرقي.....) وسخر من الشيخ علي الشرقي×ووصفه بانه من (شيوخ الشعر) ومن الموالين للاحتلال البريطاني (ومما يمتاز به الشيخ علي الشرقي على غيره من "شيوخ الشعر" انه يعرف كيف ينتهز الفرص اذا سنحت، وانه يعرف كيف يكون الاصطياد في الماء العكر. وقد سنحت له فرصة "الثورة العراقية" فانتهزها فكان مرضيا عنه من "الانكليز" وكان مقربا ممن رضى عنهم "الانكليز" ورضوا عنهم، وقد استفاد من تلك "الفرصة" وقد افاد وهكذا الحياة، اما فائد واما مفيد!.....)

ومن الذين اصابهم نقد إبراهيم صالح شكر اللاذع الشاعر محمد باقر الشبيبي بسبب معارضته قضية التجنيد الاجباري عادا موقفه هذا تملقا للمحتل للوصول إلى كرسي الوزارة فكتب ("الشبيبي الصغير" شاعر مضطرب الاحساس، عصبي المزاج، لايضبط نفسه اذا احتدم طبعه الحاد، واهتاج وجدانه الذاهل، وقد وجدته بعد ان تذوق لذاذة "النيابة" يتحرق على "الوزارة" ويركب اليها "الحرون" الذي لايسلس القياد، ولايستقر عليه "الفارس" في حلبة السباق، ولا يطمئن اليه "الشجاع" في المعمعة، وساعة الخطر. فهو كلما لاح له ان "الانكليز" يعارضون قضية "التجنيد الاجباري" في العراق، رفع صوته الرنان الصاخب في النقمة على "دعاة التجنيد" وفي التهجم عليهم، والتحرش بهم.....).

ولم يكن الشاعر كاظم الدجيلي بمنأى عن وخزات إبراهيم صالح شكر اللاذعة اذ كتب عنه قائلا (اما تلقيب الدجيلي "بالشاعر" فجناية لم يرتكبها حتى رفائيل بطي نفسه في كتابه "الادب العصري" فقد لقبه بالناظم وهذا اللقب كذلك زائد عيه لان نظمه سخيف مبعثر لامعنى له ولااثر للصناعة النظمية فيه فضلا عن ان المباينة التي بين اعمال هذا "الوزان" وقوله بحيث لاعلاقة بين فؤاده ولسانه البتة. والناظم الصادق الشاعرية هو الذي يراقب فؤاده ماينطق به لسانه.....). ولم يسلم رزوق عيسى صاحب مجلة (خردلة العلوم)) صدرت في الاول من تشرين الثاني عام ١٩١٠م لصاحبها المؤرخ والكاتب العراقي رزوق عيسى الذي يعتبر من اوائل الذين ارخوا الصحافة العراقية في العشرينيات من القرن الماضي وهي مجلة علمية ادبية صحية تاريخية شهرية لم يسعفه الحظ في الاستمرار بالعمل الصحفي وان شارك في الكتابة بالعديد من الصحف والمجلات العراقية والعربية اصدر منها عددين فقط وتعطلت لخسارتها المادية (من انتقادات إبراهيم صالح شكروهو ماجاء في المقال الاتي (ومن المضحكات ان يوضع رزوق عيسى في هذه القائمة الغريبة العجيبة للادب العراقي الهزيل بينما هو كاتبه وان كان غفلا من التوقيع كما صرحت بذلك جريدة العراق في حينه .اما نصيبه فلم يكن باقل من نصيب غيره،من حيث الاطناب الفارغ والمديح الكاذب،كما تعودنا ان نسمعه في وصف ادبائنا من افواه غير العارفين والافليس هناك اديب يقيم للالفاظ وزنا يدرك صفات الادباء الحقيقية،ويلصق بمعظم ادبائنا تلك الصفات الرخيصة التي لاعلاقة لها بالموضوع،حتى ولا في الحلم.....).

خصوماته السياسية

لم تعرف الصحافة العراقية في تاريخها الحافل صحفيا مهاجما عنيفا مثل إبراهيم صالح شكر فقد تصدى وهو فرد لحكومات واحزاب وزعماء وسياسيين وصحف وكل من تجرأ على حرمة الوطن وقضيته وفي مقدمة هؤلاء ، الاستعمار ورجاله ومخططاته وسياسته ومعاهداته فكان من بين هؤلاء السياسيين الذين سلط عليهم قلمه بالانتقاد حمدي الباجه جي كاشفا عن دوره في (مشروع اصفر)) قدم كل من: نجيب اصفر وثابت عبد النور وحمدي الباجه جي طلبا إلى الوزارة السعدونية الاولى لمنحهم امتيازا لانشاء خزان الحبانية والفلوجة لارواء الاراضي الواقعة في لواء الدليم وقد ظهر بعد مدة ان الثلاثة كانوا سماسرة للشركات البريطانية التي تقدمت بالاعتمادات المالية لاخذ امتياز المشروع الذي كان سيجر وبالاعلى العراق وحكومته (الذي كان سيلحق بالعراق ضررا كبيرا في حال تنفيذه فكتب مانصه (اما حمدي بك الباجه جي، او معالي حمدي بك الباجه جي، اوحمدي صاحب "اليد الحديدية" و"زميل اصفر" في "مشروع اصفر" فانه يعتب على "شريكي" في مسؤولية "الزمان" وليس في خيرها الكثير، ونعيمها الوافر ذلك هو المدير المسؤول شاكر افندي الغصيبة. وماعتب صاحب "اليد الحديدية" انه ماكان يؤمل ان تقف "الزمان" له بالمرصاد فتعدد "هفواته" وتحصي عليه ماارتكبه من تصفيد البلاد بمعاهدة امدها "ربع قرن" فقط! وعتبه هذا بناء على الصداقة التي يمت بها إلى شاكر افندي، وهي طبعا انما كانت قبل الان. ولو تروى حمدي بك، ولو امعن النظر جيدا لراى ان "الزمان" ماأساءت اليه، وانما ارادت ان تضع لاستخفافه بمصلحة البلاد حدا،.....) كما هاجم نوري السعيد في وزارته الاولى لدوره في ابرام معاهدة ١٩٣٠م بين العراق وبريطانيا والتي قابلها الراي العام باستنكار شديد فكتب قائلا (الجندي الصغير! هذا لقب "متواضع" اطلقه نوري باشا السعيد على نفسه، في الكتاب الذي ضمنه "منهاج وزارته" هذه وقدمه إلى مليك البلاد. فهو "الجندي الصغير" منذ الف الوزارة الاخيرة، وهو "الجندي الكبير" في "الوزارات الانتدابية"، التي تعاقبت في هذا البلد الكئيب المعذب. ثم انه "الجندي الاكبر" في كل وزارة افدمت على اعنات البلاد "بالمعاهدات" التي يطمئن اليها الاستعمار الانكليزي الغاشم، ويتململ منها الشعب الابي الباسل.....).

ولم يسكت إبراهيم صالح شكر حتى عن احب الناس إلى نفسه والذي عدَّه الزعيم والقائد ياسين الهاشمي متهما اياه باتباع اساليب ملتوية مع اقتراب موعد الانتخابات ليضمن نجاحه فيها فكتب (وقد عاد فخامة الهاشمي باشا إلى "الاساليب الغامضة" وقد رجع إلى "افانين الدهاء" والهاشمي باشا حذق ماهر،

ذاكرة
العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

ومتفنن خبير، يحسن "الصيد"ويعرف "من اين تؤكل الكتف"!و"حركة الانتخابات"هي التي دعت فخامة الهاشمي إلى هذه "العودة السريعة"واهتمام الحكومة "بالانتخابات"هو الذي ارجع فخامة "رئيس"حزب "التضحية" و"التضامن"و"الاخلاص"إلى "الدهاء"الذي يحتاج فخامة الهاشمي إلى الاستراحة منه، وهو في"دور النقاهة"من مرض لازمه اياما ثم تركه نحيلا شاحبا منهوكا.فهو اليوم يجمع "فلول حزب الشعب"وهو اليوم معتزم اعادة صدور "نداء الشعب"وهو اليوم يتصل "بابناء الشعب"وهواليوم يتقرب إلى "أباء الشعب"وهو اليوم يجامل هذا، ويبتسم لذاك.....) وشن هجوما عنيفا على الوزارة السعدونية الثالثة لفرضها المرسومين (١٣، ١٤ بتطبيق عقوبة الجلد على الطلاب الذين اشتركوا في المظاهرات ممن لم يكملوا الثامنة عشر من العمر بعد المعاينة الطبية اما الطلاب الاكبر سنا فانه بموجب المرسومين يطردون طردا مؤقتا او مؤبدا وان لايتم استخدام من طرد منهم طردا مؤبدا في دوائر الدولة مستقبلا السيئي الصيت على الطلاب الذين اشتركوا في المظاهرات المنددة بقدوم (السر الفرد موند زعيم صهيوني ومن كبار رجال المال الانكليز) إلى العراق في ٨ شباط ١٩٢٨م فكتب (ولما قدم السر الفرد موند الصهيوني واراد احرار العراق ان يعبروا عن شعورهم القومي بشجب "الصهيونية"ونصرة مطالب اخوانهم في استنكار "الوطن القومي"اليهودي في فلسطين سلكت الوزارة في اضطهاد الحرية مسلكا مؤلما جدا لم يدل فقط على انها اداة مسيرة بيد الاجنبي بل على انها لاتحمل أية عاطفة عربية واوغلت في الاضطهاد ومصادرة الحرية، فاصدرت ارضاء للاجنبي المغتصب "المرسومين"١٣و١٤ اللذين اعادت فيهما إلى مدارسنا "عقوبة الجلد".....) ومن الساسة الاخرين الذين شملهم نقد إبراهيم صالح شكر الساخر وقلمه اللاذع احمد الشيخ داود الذي كتب عنه قائلا (والذي اظنه،ان سماحة الشيخ احمد افندى الداود لابد وان يمتطي "متن طيارة " فخمة " فيطير" بها إلى "مصر" بعد ان اراحه الله من منافسة " زغلول "له في " الزعامة " – فالشيخ متوفرة فيه اسباب " الزعامة " ولكن العراق لم يتعود بعد على " تكريم الزعماء " وتحقيق " رغباتهم " فيها اما " مصر " فان "زغلول" قد عودها على " حياة الزعامة " فالفتها،والفت الانقياد اليها . وسماحة الشيخ احمد افندى انما تظهر "زعامته" جلية لامعة فى غير العراق – فالعراق لم يعط "الزعامة" حقها ولم يعطه " حق الزعامة " فى ابنائه مع انه "زعيم" واكثر من "زعيم"!! وقد خلا الجو الان في مصر بعد "ممات زغلول" اذن فمن المتوقع ان " يطير " سماحته إلى وادى النيل، ليمثل فيها " زعامته " البحتة!!.....) كما وجه سهام نقده إلى رشيد عالي الكيلاني متهما اياه بالتفريط في استقلال البلاد والاستهانة بحقوقها فكتب مانصه (اما انني اقتنعت بما حاول ان يقنعني به الاستاذ الكيلاني فذلك ما لايستطيعه هو او غيره من ذوى القدرة على اقناع العنيد الجبار، واما اننى قرعت فذلك واجبى، فلست ممن يخدع، ولست ممن يحابى هذا، ويصانع ذاك، ولاسيما اذا كان " العتاب صابون القلوب " وانما يفيده التكفير، والرجوع إلى حظيرة الوطن . فاذا استطاع الاستاذ الكيلاني البرهنة على انه اناب إلى بلاده، وانه يستطيع ان يبرأ إلى الله من وزر " المعاهدة الجديدة " فاني غافر له ماأصابني منه، وما ارهقني به، واذا لم يستطع ذلك " فالحرب " بيني وبينه، والنصر من عند الله، وهو لايخذل المخلصين!..).

وكشف إبراهيم صالح شكر عن الاساليب المضللة التي يمارسها وزير العدل حكمت سليمان لخداع الناس وايهامهم فكتب قائلا (وقد جاءت "السياسة الاسبوعية" نهار السبت الماضى فاطلعتني على " لعبة جديدة " اذا صحت فانها تدل على مهارة فى "اللعب" وحذق في "اللاعبين" وتحرير الخبر ان " مكاتبا " في " السياسة" يزعم بان :(الطلائع تدل على ان ستؤلف كتلة معارضة جديدة، غير المعارضة المعروفة) في " بغداد " طبعا ثم يبالغ الكاتب فيزعم ان :(المعارضة الجديدة سيقودها حكمت بك سليمان وزير العدلية في الوزارة الجديدة الحاضرة،فان هذا الوزير سيختلف مع زملائه، ويترك كرسي الوزارة ليشغل رياسة المعارضة الجديدة التي يريدون ايجادها،وهي خطة مدبرة) هذا بعض مايقوله الكاتب،او "المكاتب" فاذا صح فانه برهان جديد على ان التنوع في "اللعب" بلغ حدا فيه شئ كثير من المهارة وحسن التصرف، ان معالي حكمت بك يستقيل من "الوزارة " ليوهم الناس بانه اختلف مع الوزارة الحاضرة، وانه يجب معارضتها فيجمع حوله "ثلة" ممن تاذن الحكومة لهم "بمعارضتها" فيعارضون وينقمون،ويسخطون وفي الحقيقة انهم "عصبة واحدة " و "فئة متحدة" ان هذا " اللعب" يبشر باتقان " المهازل " في هذه البلاد.)

اعتقال شكر مع عبد الرزاق شبيب سنة ١٩٣٠

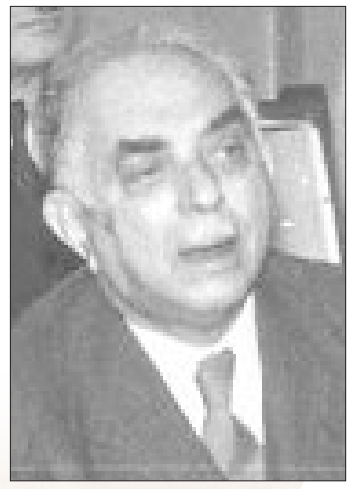

نوري السعيد

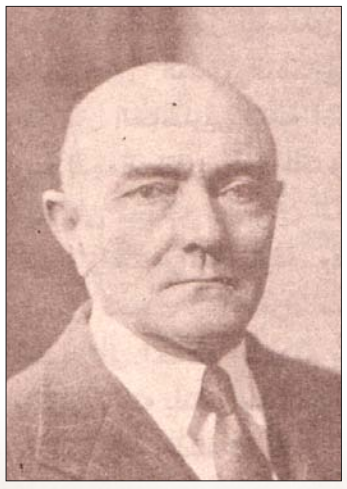

حكمت سليمان

ياسين الهاشمي

حمدي الباجه جي

ذاكرة
العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

هكذا ادركت المدرسة (الغربية المتوسطة) في اوائل الاربعينيات..

■ د. مجيد القيسي

اعضاء الهيئة التدريسية للغربية

من الأهداف والمهام الرئيسة للدولة العراقية الفتية التي أنشئت عام ١٩٢١ بقيادة المرحوم (الملك فيصل الأول) تشييد منظومة تعليمية راسخة ؛ بدأ من المرحلة الإبتدائية ومرورا بالمتوسطة والإعدادية ؛ وإنتهاء بالمرحلة الجامعية العليا ؛ وفي الحقلين التقليدي والمهني. وقد جندت الحكومات المتعاقبة يومها افضل رجالاتها الوطنيين خلقا وأدبا وعلما وإدارة لتنفيذ تلك المهمة الخطيرة التي تعد أحد اعمدة البنية الأساس لنهضة العراق الحديث. ولم تغفل عن القطاعات الإنتاجية والخدمية الأخرى كقطاع الصناعة والمواصلات والإتصالات والزراعة والصحة والأعمار والإسكان وغيرها بالرغم من شحة موارد الدولة آنذاك. كما لم تغفل عن إنشاء جيش وطني قومي عصري ينهض بمهمة الدفاع عن حياض البلاد.

لقد كانت بدايات العمل جادة وراسخة بحيث جاء معظم المشاريع على نحو أثار إعجاب العراقيين والعالم. ولعلي أذكر هنا الدور المتميز الذي قام به (مجلس الإعمار) في تخطيط وتنفيذ مشاريع الطرق والجسور والموانئ والسدود ومحطات الكهرباء والزراعة وبناء المدارس والدور السكنية الشعبية وسواها. فهي ما تزال قائمة حتى اليوم لتشهد ولتشيد بوطنية الخبراء العراقيين وبحكمتهم وبإخلاصهم إذا ما أتيحت لهم الفرص لتمكين إراداتهم الحرة من العمل والبناء ؛ ولأظهار قدراتهم العلمية والفنية والإدارية في خدمة بلادهم. فقد تألف ملاك (مجلس الإعمار) يومئذ من افضل خريجي الجامعات الأمريكية والبريطانية والفرنسية وغيرها من المهندسين والمشتغلين في حقول العلوم المختلفة ومن رجال التخطيط والإقتصاد والمال ؛ ليس في العراق حسب بل وفي المنطقة كلها. فكانوا فخرا للعراق وعلامة مضيئة تشير ألى مستقبل زاهر كان ينتظر العراق الناهض. ومع خضوع سياسة الحكومات المتعاقبة للنفوذ البريطاني منذ إحتلال البلد عام ١٩١٧ وحتى تأريخ إرغامه على تركه تحت وطأة ضربات مناضلي (ثورة العشرين) الوطنية المباركة وضغوط سلسلة الإنتفاضات والوثبات التي قام بها الشعب العراقي البطل ، غير أن مسيرة العراق التنموية والنهضوية لم تتأثر كثيرا بتلك السياسة. بل وجدنا الخبراء والأطباء والأساتذة ألأجانب أنفسهم قد ساهموا في تلك النهضة لتحسين صورهم أمام العالم ؛ وخصوصا في مجال التعليم العالي والعام والصحة والخدمات الأخرى ؛ وفي طليعتها إنشاء محطتي توليد الكهرباء في (العبخانة) و(الصرافية) ، ومد خطوط الكهرباء الى الأزقة والدور السكنية. كما تم إيصال مياه الشرب إلى (السبيل خانات) المجانية وإلى الدور السكنية بواسطة (دائرة إسالة الماء) الواقعة في الباب المعظم ؛ قريبا من (حديقة المرض).

ولا بد ان يتذكر الكثير منا المستوى العلمي والمهني الرفيع الذي كانت عليه كليات (الطب) و(الصيدلة) و(الهندسة) و(الحقوق) و(الكلية العسكرية وألأركان) و(كلية بغداد) و(جامعة الحكمة) في العهد الملكي. ولا بد لنا أيضا من ألإشادة بالمستوى المتميز الذي حققته معاهد ومؤسسات ومختبرات ومصانع مثل (مديرية المباحث الصناعية) و(مديرية المختبر الكيمياوي) و(مديرية الزراعة العامة) و(معهد اللقاحات وألأمصال) و(معهد باستور) و(إدارة البرق والبريد) و(دار ألإذاعة) و(التلفزيون) و(السكك الحديد) و(مصانع الإسمنت) و(الطابوق) و(النسيج) و(الزيوت) وغيرها ؛ والتي كانت من المفاخر التي إعتز بها العراقيون يومذاك وما يزالون يذكرونها بكل خير وفخر حتى اليوم.

وقد تناوب على (وزارة المعارف) شخصيات مرموقة من المفكرين وألأدباء والشعراء والسياسيين نذكر منهم : (عزت الكركوكلي) و (محمد مهدي بحر العلوم) و(السيد هبة الدين الشهرستاني) و(عبد المحسن شلاش) و(حكمت سليمان) و(عبد الحسين الچلبي) و(جعفر العسكري) و(الشيخ محمد رضا الشبيبي) و(السيد عبد المهدي المنتفجي) و(خليل كنة) و(عبد المجيد القصاب) و(محمد فاضل الجمالي) و(عبد الحميد كاظم). وعلى تنوع أصولهم ألإثنية وأختلاف طوائفهم ومذاهبهم الدينية غير أن أفئدتهم كانت عامرة بحبهم وبإخلاصهم لتراب العراق ولوحدته التأريخية ولثقافته العريقة ولتراثه الأصيل.

وكانت قد أنشئت مدرسة (الغربية المتوسطة) العتيدة في بغداد عام ١٩٢٩ في منطقة (الكرنتينة) من منطقة (باب المعظم). وكان يحدها من الغرب (حديقة المعرض) الغناء التي كانت من أجمل حدائق الزهور في بغداد بعد (بارك السعدون) ، ومن الشرق (كلية الهندسة) ومن الشمال (ثكنة الخيالة العسكرية) ؛ وفيها بوابتها الرئيسة ؛ ومن الجنوب (كلية الملكة عالية). وكان يفصلها عن كلية الهندسة الشارع المؤدي الى (الوزيرية) ؛ وعن (ثكنة الخيالة) الشارع الذي يربط بين هذا الشارع والآخر الذي يؤدي الى شارع (ألإمام ألأعظم). وقد ضمت بنايتها الجميلة الكثير من الصفوف وغرف الإدارة والمختبرات والمرسم والمكتبة والساحات والمرافق ألأخرى .

وقد تميزت (الغربية) بنظام تعليمي خاص لتدريس المواد يوم إلتحقنا بها عام ١٩٤٢. فهو يقوم على مبدأ الصف المتخصص. فهناك صف للغة العربية وآخر للتأريخ وهكذا... حيث يتنقل الطلبة بين الصفوف المختلفة للقاء ألمدرسين ولأخذ حصتهم من الدروس. او لحضور الحصص العملية في مختبرات الكيمياء والأحياء والفيزياء. او ألإنتشار في الساحات لممارسة دروس الرياضة. وهي تعد من المدارس النموذجية من حيث فلسفتها التربوية والتعليمية والإدارية. فالمناهج وطرق التدريس قامت على مبدأ التفاعل الحيوي المباشر بين المدرس والتلميذ من أجل إشراكه في عملية التعلم ؛ وليكون طرفا فاعلا فيها. وكانت وسائل الإيضاح حاضرة في معظم الدروس. وكان هذا الأسلوب محفزا رئيسا لإغراء التلاميذ ؛ وبخاصة المجتهدين ؛ في اعداد التقارير وإلقائها امام زملائهم. فكان المرء يرى هؤلاء التلاميذ وهم يهرعون الى (المكتبة العامة) القريبة من المدرسة لمطالعة الكتب والنظر في المراجع وإعداد التقارير والواجبات المدرسية.

أما المدرسون فكان معظمهم من خريجي

ذاكرة
العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

(دار المعلمين العالية) الشهيرة ؛ وخصوصا أولئك الذين حصلوا على تدريبهم العملي فيها. وكانت (وزارة المعارف) تختار الطلبة الخريجين المتميزين من بين هؤلاء للعمل فيها وعلى ملاكها الثابت. كما دأبت على جذب المدرسين المتميزين من كافة الأقطار العربية ؛ وبخاصة مصر وسوريا وفلسطين ولبنان. وكان الجو الإجتماعي والتربوي العام يحتضن المدرسين من كافة الإثنيات والطوائف والمذاهب. فتجد المسلم الى جانب المسيحي واليهودي والصابئي. كما تجد العربي الى جانب الكردي والتركماني والسرياني. وجميعهم إخوة يعيشون كأسرة واحدة متعاونة ومتحابة. وكانت (ألمدرسة) تستقبل الطلاب من كافة أنحاء بغداد ؛ وبالأخص من المحلات القريبة.

أما نظام الإدارة المدرسية فكان يقوم على قواعد الجد والإلتزام بالمعايير التربوية المعهودة. الى جانب روح التسامح والعدل. وكانت ألإدارة والمدرسون يعاملون التلاميذ كإخوانهم الأصغر او مثل أبنائهم تماما. وكانت ظاهرة (المثل او القدوة الحسنة) هي السائدة بين معظم التلاميذ. فمن المظاهر المألوفة ان تجد هؤلاء التلاميذ وهم يحيطون بأساتذتهم بعد إنتهاء الحصص الدراسية : يناقشونهم او يتبادلون معهم الأفكار حول الدروس ؛ او ما يخص الشأن العام. ومما ساعد على ترسخ تلك النظم التعليمية والتربوية الجادة أن الجو الإجتماعي العام كان ملائما ومواتيا. فلم تكن هناك وسائل للهو والترفيه او لإضاعة الوقت. كما لم يكن أمام التلميذ سوى متابعة الدروس ومطالعة كتب الأدب والتأريخ ودواوين الشعر. بينما إتجه البعض الآخر لقراءة كتب العلوم ومتابعة الإكتشافات والإختراعات. في حين إنخرط آخرون في مزاولة الفنون التشكيلية والموسيقى والتمثيل والرياضة. فلم يكن غريبا ان يجد المرء نسبة لا يستهان بها من التلاميذ وهم يقرضون الشعر او يكتبون القصة او يمارسون الخطابة في المناسبات. ولعلي أذكر بهذه المناسبة بعضا من هؤلاء التلاميذ المعروفين الذين كانوا يمارسون تلك الفعاليات المدرسية.

فقد كان هناك الزملاء والأصدقاء (خليل القصب) شقيق الفنان الفطري الكبير (شهاب أحمد القصب) والذي هاجر الى أميركا ؛ و(ياسين طه حافظ) الذي اصبح فيما بعد شاعرا معروفا وغيرهما. وكان من ابرز فعاليات ثلتنا هذه الإنخراط في المطاردات الشعرية او إيقاع بعضهم البعض في (مطبات) إعراب (آيات قرآنية) صعبة او أبيات عويصة من الشعر. وكان هناك أيضا (كريم محمد) الذي اصبح خطاطا معروفا. ويقع مكتبه في ساحة الرصافي. وهناك (نزار سليم) الفنان التشكيلي المعروف والذي تدرب في مرسم الأستاذ (حافظ الدروبي) في (المدرسة) مع زميله (جمال رسول الزبيدي) (شقيق الظريف فخري الزبيدي). ولم ننس أيضا الكاتب والأديب (حارث طه الراوي). وهناك كذلك (حسن الناظمي) و(عبد الرحمن بهجت) الملقب بعباس واللذان ساهما في النشاط التمثيلي المدرسي . وأتذكر أيضا (طارق محي الدين عبد الرحمن) الفارع القامة والذي وصل الى رتبة عالية في الشرطة. وكان من بين مجموعتنا الشخصية المحبوبة (يوسف سعيد) الملقب (بالحجي) والحقوقي (راغب فخري) الذي شغل مركز الإدعاء العسكري العام. ومن المصادفات الجميلة أننا إنتقلنا سويا الى الإعدادية المركزية حيث عملت على إنشاء (جمعية الصناعات الكيميائية) ؛ فإنتخبت رئيسا لها وأنتخب (حجي يوسف) سكرتيرا) و(راغب فخري) أمينا للصندوق. وبرز بين طلبة المدرسة (صفاء محمد علي) الذي وصل الى رتبة لواء في الجيش العراقي الباسل. وكان لولب (المدرسة) في نشاطه الإجتماعي وفي ظرفه ومقالبه البريئة.

ولن أنسى الفنان (حقي .حسقيل .يوسف) عازف الكمان الذي نشأ في محلة الخشالات. كما لم ننس ايضا الشاعر الشعبي المرموق (عبد القادر محمد) والملقب بالأسود لسمرة بشرته والذي زج به شعره في بعض (المطبات) غير المحسوبة !. وأذكر جيدا انه في أحدى المناسبات المدرسية أخرج قصيدته التي دونها على شريط ورقي طويل وأخذ يقرأ منه شعرا يصف فيه المدرسين مشيرا الى بعض خصالهم وعاداتهم الحميدة ؛ ولكن بإسلوب هزلي فكه. وقد أشاع جوا من المرح والبهجة بين المدرسين والتلاميذ. لكن (الشيطان) إعتاد على تسميم مثل تلك الأجواء المرحة. فحين وصل (عبد القادر) الى أستاذ الرياضيات المتميز علما وخلقا وأدبا (كدعون شهرباني) ؛ وكان من إخوتنا اليهود ؛ قال فيه:

(شهرباني ديرْ بالكْ
جُرْ عدلْ ويّا ال كبالكْ
ويْ بقَى أشكُنْ إبدالكْ ..!؟.

وهنا تكهرب الجو.... فانسحبت الإدارة وإنفض الإحتفال. وسيق (عبد القادر) الى (الإدارة) حيث تم فصله لمدة إسبوعين ...لولا طيبة (الأستاذ) ودماثة خلقه ؛ حيث تنازل عن حقه... فقلصت العقوبة الى ثلاثة أيام. وهكذا كانت الحياة المدرسية تسير بين حزم ... وعدل ورحمة. ولم يسلم (كاتب هذه السطور) من قبضة ذلك الحزم وأشواك تلك الرحمة. فقد دفعني فضولي وحبي للرسم ان قمت يوما برسم مدرس اللغة الإنكليزية الأستاذ الطيب (سمعان) وذلك أثناء الدرس... فإذا به يراقبني خلسة ؛ ليمسك بي متلبسا بالجرم المشهود. وبعد إنتهاء الدرس إصطحبني معه وعلى وجهه إبتسامة أثارت حيرتي وخوفي !. فإذا بي امام المدير ألأستاذ (عبد الحميد). فوقفت أمامه مطرق الرأس... حياء وأسفا. ولم انج من العقاب إلا بتنازل ألأستاذ الطيب القلب وبشفاعة بعض المدرسين وفي مقدمتهم ألأستاذ (الدروبي).

ولم يقتصر من أنجبتهم (الغربية المتوسطة) على هؤلاء التلاميذ وحسب ؛ بل كان هناك العشرات ممن اصبحوا أطباء ومهندسين وقضاة ومحامين وفنانين وكتابا وضباطا وموظفين كبار. فقد كانت (الغربية المتوسطة) مصنعا للرجال.... بحق.

أما الملاك التدريسي فكان من افضل وأقدر من أنجبهم العراق وألأقطار العربية. وقد أبدأ بمدرسي اللغة العربية الذين يشكلون قلب المدرسة النابض. وكان أن أكرمت المدرسة بثلاثة مدرسين مصريين من خريجي كلية (دار العلوم) في (جامعة الأزهر) في مصر. وهم ألأساتذة (بدوي أحمد طبانة) الذي صار فيما بعد استاذا في الجامعة نفسها ؛ و(محمود ابو الفتوح) و(محمود إبراهيم) الذين تميزوا برفعة ألأخلاق وسمو النفس وغزارة العلم. فقد حببوا الينا اللغة العربية: من قواعد وأنشاء وتعبير وخطابة وأدب وشعر. حتى اصبحت (العربية) في مقدمة هوايتنا الكثيرة ؛ بل وهوس البعض منا. كما درسنا (العربية) ألأستاذ المتمكن (ناصر الحاني) الذي إنتقل فيما بعد الى السلك الدبلوماسي. وألأستاذ القدير (خليل الخشالي) الذي كان قريبا من التلاميذ وخصوصا المجتهدين. ثم يأتي مدرسوا اللغة الأنكليزية الذين كانوا أشبه بباقة ورود لكل منها عطرها المتميز. وهم ألأساتذة (عزيزشلال عزيز) و(يرفانت ارستاكيس) و(بديل حمو) و(سمعان ...). وكانت لكل منهم شخصيته المتميزة. فمن طيبة قلب الى جدية والتزام في اداء الواجب والى غزارة في العلم ورقة في التعامل مع التلاميذ. ومن ثم يأتي مدرسوا الرياضيات الذين كانوا نماذج منتقاة بعناية كبيرة من حيث غزارة العلم والإلتزام بالأصول التربوية المعتمدة. وهؤلاء هم الأستاذ (عبد الرسول كمال الدين) البالغ النشاط والظاهر الجد في إلقاء المحاضرات. وقد اصبح فيما بعد استاذا معروفا للكيمياء في كلية العلوم ومن اقرب اصدقاء (الكاتب). وهناك ألأستاذ (ناصر طقطق) الذي تميز بالظرف وحب النكتة الى جانب الجدية في التدريس. وكذلك الأستاذ (سعيد صفو) الذي يعد (حاسوبا) للمعلومات الرياضية فضلا عن جديته الفريدة وهيبته المحببة. وكان هناك أيضا ألأستاذ (كدعون شهرباني) الذي سبقت الإشارة اليه. فكان استاذا طيبا ودائم ألإبتسام ومتمكنا من علمه وإختصاصه ؛ وله اسلوب سلس في إيصال المادة الى التلميذ. ثم يأتي مدرسا الكيمياء وهما الأستاذ الهادئ الطيب (صبري أيوب) ؛ وكذلك الأستاذ المقتدر (عبد الرحمن محمد خالد القيسي) والذي اصبح استاذا جامعيا فيما بعد. أما مدرسا ألأحياء فكان الأستاذ (عزيز وحيد) الشخصية المحبوبة والأستاذ (ناجي عبد الأمير) الكيس والهادئ الطبع. وقد درسنا الجغرافية ألأستاذ (فيصل نجم الدين ألأطرقجي) الذي عرف بدماثة الخلق وبالجد والإلتزام. ثم ألأستاذ (صالح أحمد العلي) الشخصية الجادة المحبوبة والذي شغل فيما بعد رئاسة (المجمع العلمي العراقي).

وقد أعجب التلاميذ أيما إعجاب بطيبة ألأستاذ (عبد الحميد عبد الكريم) وبوقاره وكياسته. فقد كان مدرسا للدين. وكان لدماثة خلقه سمحا ومنفتحا ؛ حتى أنه لم يطالب يوما ما غير المسلمين بمغادرة الصف. فكانوا أحرارا في الإختيار. وتتلخص طريقته في التدريس بأن يطلب من التلميذ الجالس في مقدمة الصف أن يقرأ آيتين او ثلاث آيات من المصحف. ثم يبدأ بتفسيرها بإقتدار. وبعد أن ينتهي منها ينتقل الى التلميذ الذي يليه ... وهكذا. ولم يخل هذا الدرس من المفارقات والمفاجآت الطريفة. وكان التلاميذ يلجأون الى خلق شتى الذرائع للتخلص من تلاوة السور الصعبة. ولعل من اكثرها شيوعا قولهم للمدرس ؛ وبلغة الهمس: (أستاذ... آني معذور)..!؟.

أما كوكب المدرسة فكان مدرس التأريخ ألأوربي ألأستاذ (عبد الكريم العطار). فإن وجدت جمهرة من التلاميذ مجتمعين حول مدرس معين فأعلم أنه.... هو !. فكان ذا هيبة ووقار. وقد أصبح فيما بعد مديرا للمدرسة. اما من درسنا التأريخ العربي والإسلامي فهو ألأستاذ الجاد الحازم (فاضل حسين) الذي صار فيما بعد استاذ جامعيا معروفا. ولعلي أختم ذكر الأساتذة بمدرس الرسم ألأستاذ والفنان الشهير (حافظ الدروبي) الغني عن التعريف. فبقدر ما كان ظريفا وصاحب نكتة كان جادا وحازما.

اما مدرس الرياضة فهو شخصية شعبية معروفة بشعبيتها وبتواضعها. فمن لا يعرف ألأستاذ الحاج (ناجي الراوي) ؛ الممثل المعروف وعضو فرقة (الزبانية) !؟. فكان درس الرياضة بالنسبة لنا فسحة ومتعة ننتظرها بفارغ الصبر. وقلما نجا طالب من تعليقاته إذا ما تعثر او أخطأ. فقد كان (كاتب السطور) واحدا من ضحاياه البريئة يوم أجبرني على ملاقاة طالب خشن الطباع ومتين العضلات ؛ وذلك في لعبة الملاكمة. ولم أجد نفسي إلا وأنا مضرج بالدماء ؛ بعد أن تلقيت لكمة على أنفي !.

لقد تركت تلك ألأيام الجميلة السلسة الهادئة في نفوسنا ذكريات عذبة مفعمة بالرجاء وبالأمل ؛ بالرغم من كل تحفظات جماهير الشعب ومعارضاتهم المتواصلة لسياسة الحكومات المتعاقبة. فقد كانت الدولة العراقية ؛ بقيمها الروحية المتوارثة وتأريخها الضارب في القدم وتراثها الأصيل ودستورها الحديث ؛ كالقاطرة الهادرة ؛ متينة الصنع وثابتة على القضبان وهي تنطلق نحو هدفها المرسوم ؛ بالرغم من حداثة إنشائها. بينما توصف الحكومات المتعاقبة بركاب تلك القاطرة في تقلب أمزجتهم او إختلاف وجهات نظرهم او خصوماتهم السياسية.

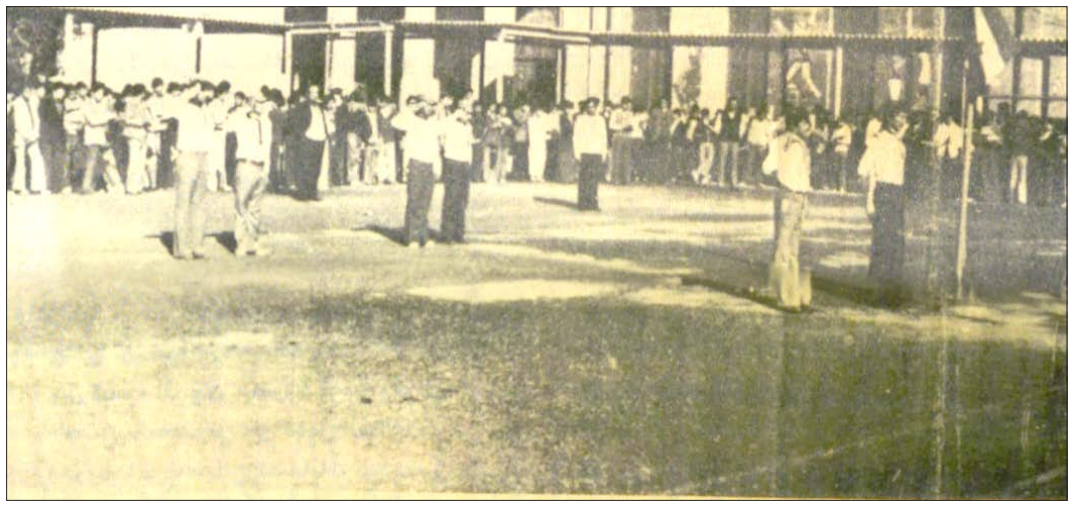

ساحة المدرسة الغربية

العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

امين الريحاني

الفريق بكر صدقي

انطباعات أمين الريحاني عن انقلاب بكر صدقي

■ علي أبو الطحين

كان أمين الريحاني في حيفا يتهيأ لمغادرة فلسطين في نهاية تشرين الأول عام ١٩٣٦، بعد إخماد الثورة الفلسطينية، حينما قرأ في الصحف العربية عن الثورة في العراق. يقول الريحاني كانت تلك التقارير مثيرة ومفزعة، عن سقوط حكومة ياسين الهاشمي، وقيام حكومة بلشفية وسيطرة الجيش على الحكم، وعن ضعف الملك غازي واحتمال إعادة احتلال بريطانيا للعراق!

لماذا الانقلاب العسكري؟ هل الحكومات الدستورية محكومة بالفشل في العالم العربي؟ أليس هناك آلية برلمانية لتغيير السلطة؟ كان هذا مدعاة استهجان في الصحافة العربية في سوريا وفلسطين ومصر التي تدعو إلى الوحدة العربية والقومية العربية. وحتى الصحافة البريطانية كانت قلقة ومشككة بما يحدث في العراق، من ثورة الكرد والتدخل التركي والمناورات الإيرانية والنفوذ الروسي الشيوعي.

لكن شيئا واحدا خفف من روعي عن تلك الأخبار المفزعة، ففي عصر اليوم السابق (يوم الثورة) كنت مع القنصل العراقي في حيفا، الشيخ كاظم الدجيلي، وذهبنا سوية لزيارة مرفأ تصدير النفط العراقي التابع لشركة النفط العراقية، فلم يقل القنصل ولا أي أحد في مقر الشركة عن تلك الأخبار لما حدث في بغداد، فلابد أن تكون الأمور مبالغا فيها.

بعد ورود التقارير العديدة في الصحافة العربية والبريطانية وكلها تصب بالهجوم على الطبقة العسكرية في الحكومة الجديدة، على رئيس الأركان بكر صدقي ورئيس المعارضة حكمت سليمان، وتأكيد تلك الإشاعات قررت الطيران على وجه السرعة إلى بغداد.

يقول الريحاني وصلت إلى بغداد بالطائرة من دمشق، وكانت ملامح البشرى والسعادة ترتسم على كل من صادفته في بغداد، من سائق السيارة إلى الحمال إلى مدير الفندق والخدم، وحتى صباغ الأحذية في الشارع والعطارين، بل وحتى الموظف الأجنبي في مكتب السياحة المقابل للفندق. فكانوا يرددون "أصبحنا اليوم أحرارا، والحمد لله، هذه الحكومة ستكون حكومة عادلة" .. والى غير ذلك.

لكني حملت شكوكي إلى الناس العارفين، إلى أصدقائي السياسيين، مثل رئيس الوزراء السابق المعتدل جميل المدفعي، والى الوزير والسياسي الألمعي والمحنك ناجي السويدي، فكان كل منهما يهز رأسه أسفاً وطالباً من الله المغفرة إلى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي وبطانته، لقد كانت انتهاكات حكومة ياسين لا تطاق.

وحتى عضو مجلس الأعيان الهادئ الصوت السيد محسن أبوطبيخ، المشهود له بالأمانة والاستقامة، أوضح، كانت هناك "شوادات"، قالها وبصوت مرتفع "وشلون .. شوادات".

أما عضو الأعيان السابق فخري الجميل فكان مصدوماً، وقالها بوضوح، كان هناك فساد، وتلاعب بالمال العام، واستيلاء على الأراضي، ومن ثم إصدار القوانين الجائرة وتطبيقها بالقوة، وباختصار، على نهج الحكومة العثمانية السابقة.

عضو الأعيان مولود مخلص كان أكثر وضوحاً، فقال أن الآلية البرلمانية لا يمكن لها أن تغير السلطة في العراق، لأن البرلمان ببساطة بيد الحكومة. فطريقة الانتخاب (الثانوي) كانت بالمحصلة توصل ممثلي الحكومة إلى البرلمان، ولا تستطيع المعارضة مهما كان حجمها أن تؤثر في ذلك. فالبرلمان خادم مطيع لرئيس الوزراء، وهذه هي معضلة الحكومة العراقية.

نفى بطل الانقلاب بكر صدقي ولمرات عديدة أن يكون هناك توجه لإقامة حكومة عسكرية دكتاتورية. وكذلك رئيس الوزراء حكمت سليمان الذي أتهم بالفاشية أو النازية أو بالتعاطف مع تركيا، أوضح بالقول وبالفعل بأنه عراقي عربي أولاً وأخراً. (وكان أول عمل للحكومة هو توقيع معاهدة مع ابن سعود لدعم حقوق العرب في فلسطين). "أن هذه الحكومة" كما قال لي، "ليست بلشفية أو نازية، -أنها تقف بين الاثنين- حكومة ديمقراطية".

الجيش في شارع الرشيد يوم الانقلاب

ذاكرة
العدد 3077/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (12) أيار 2014

كانت أحد الانتهاكات المفضوحة لحكومة الهاشمي هو منح اللزمة وتوزيع الأراضي السنية. ففي العهد العثماني كانت ٧٥ بالمئة من الأراضي المزروعة هي من أملاك الدولة، والتي كانت تؤجر إلى أصحاب النفوذ والمقربين من الحكومة. وهذا يعني بالتالي المنافسة للحصول على النفوذ السياسي والمنافسة في رشاوى المسؤولين. رشاوى للحصول على التزام الأراضي بالتواطؤ والفساد. وقد أخبرت، بأن انتهاكات حكومة ياسين الهاشمي كانت أسوء مما كان في عهد السلطان عبد الحميد.

وأحد هذه الأمثلة. عندما عقد حفل زفاف لأحدى بنات ياسين الهاشمي، كانت أحدى الهدايا من بين العديد من هدايا الزواج، تمثال لنخلة مصنوعة من الذهب الخالص قدمها أحد شيوخ العشائر في مدينة العمارة إلى العروس، وكان الشيخ يرغب بالتجديد له للزمة الأراضي الخصبة والمربحة في تلك المنطقة.

هذا إضافة إلى أن رئيس الوزراء وحاشيته منحوا أنفسهم أفضل الأراضي السكنية. فياسين أصبح يملك عدة مزارع في مناطق تمتد من تكريت شمالاً وحتى الكوت جنوباً. وكل وزير، وكل صديق متنفذ لوزير، وأغلب رؤساء العشائر المتنفذة، أصبحوا أغنياء بسوء استخدام قانون الأراضي الذي شرع قبل استلام الهاشمي للسلطة، والذي قصد منه منح وتوزيع الأراضي للفلاحين الفقراء والمستأجرين في أنحاء البلاد. وكان دمج وزارتي العدل والداخلية تحت إدارة وزير واحد هو أسوء ما في الأمر، والذي لا يمكن أن يتم حتى في الأنظمة الديكتاتورية. فقد ساهم ذلك في استغلال القوانين وسوء تطبيقها للحصول على الأراضي.

وحينما أحتج مدير الطابو إلى رئيس الوزراء على هذه الإجراءات من قبل المتنفذين و الفساد المستشري، لم يحرك ياسين الهاشمي ساكناً، بل أخبر مدير الطابو "يبدو لي أنك متعباً، سأعطيك أجازة من العمل .. لكي ترتاح".

ويقال أن ياسين قال بعظمة لسانه مخاطباً أحد دعاة الاشتراكية القليلين في العراق: "تريدون الوصول إلى السلطة حتى تستولوا على جميع الأراضي وتوزيعها بينكم. سوف لن نسمح لكم بذلك. أن الإنسان بطبعه طموح، أنظر إلي، أنا أقوم ببناء قصر لي في أطراف بغداد، وقصر آخر على ضفاف دجلة، وسوف أقوم ببناء قصر ثالث في أحد المزارع. وعندما يحتاج المزارعون في مزارعي إلى مضخات الماء للسقاية، سأوفر لهم المزيد من المضخات. الإنسان بطبعه طموح، واشتراكيتكم لا تختلف كثيراً عن طموح الناس الآخرين".

فبينما كان ياسين يحصل على المزيد من الأراضي، ويشتري المزيد من المضخات، ويبني المزيد من القصور، كان معارضوه في الجيش يعملون بصمت تحضيراً للانقلاب.

كانت الحكومة من الناحية السياسية والناحية العملية ذات بنية مهزوزة وبإدارة معطلة، فبالرغم من وجود اثنين من الجنرالات العسكر إضافة إلى رئيس الوزراء في الحكومة، لم يعلم أحد منهم ماذا يجري وراء ظهورهم في الجيش حتى ساعة وقوع الانقلاب.

قامت طائرتان من سلاح القوة الجوية بالإغارة على بغداد في صباح يوم الانقلاب ملقية في شوارع العاصمة الرئيسة وفي سراي الحكومة منشورات لإنذار الحكومة، موقعة من قبل الجنرال بكر صدقي، بينما كان في الوقت نفسه يسلم بعض الضباط باليد نسخا من هذا الإنذار إلى الملك و الوزراء. كان الإنذار يطلب استقالة الوزارة في خلال ساعتين، وإلا فأن الجيش الذي لا يبعد سوى عشرين ميلاً عن بغداد سيدخل العاصمة وأن القوة الجوية ستقصف السراي.

في تلك الأثناء طلب الملك غازي، وكان مازال في قصر الحارثية، باجتماع عاجل للوزارة بالإضافة إلى حكمت سليمان زعيم المعارضة، وبحضور السفير البريطاني في بغداد. بين حكمت الاستياء العام للشعب من هذه الحكومة، بينما أتهم وزير الدفاع، جعفر العسكري، قادة الانقلاب بالخيانة، أما ياسين فأوضح أن الدستور هو الحصن و الضمان لحقوقهم الدستورية. طلب ياسين من السفير البريطاني مساعدة القوة الجوية الملكية البريطانية ضد تحرك الخونة من ضباط الجيش، لكن السفير لم ير هناك سبباً لتدخل حكومة جلالة الملك، خصوصاً وأن المعاهدة العراقية-البريطانية هي لحماية العراق من التهديد الخارجي وليس التدخل في الشؤون الداخلية. فأيد الملك غازي ذلك. فأقترح ياسين عندها بنقل مقر الحكومة إلى الموصل، ولم يوافق الملك على ذلك. فتقرر أن يحرر الملك رسالة إلى بكر صدقي يطلب فيها تأكيد الولاء إلى الملك و الى الوطن. وأظن أن هناك من الأسباب ما يجعلني أشعر بأن الملك كان متعاطفاً مع الانقلابيين. كان جعفر العسكري مصمماً على أن ينقل الرسالة بنفسه، فهو مازال محبوباً بين أفراد الجيش، وكان يعتقد بأن حضوره وكلامه سيؤثر في الضباط للعودة إلى الطاعة و الولاء، وأصر على القيام بتلك المهمة بعد نقاشات طويلة.

بعد انقضاء الساعتين المحددة، ظهرت الطائرات مجدداً في سماء بغداد، وبدلاً من رمي المناشير كانت في هذه المرة ترمي القنابل. ثلاث قنابل بالضبط، سقطت أحداها بالقرب من مكتب رئيس الوزراء محطمةً زجاج النوافذ، فتعالت الفوضى في أطراف السراي ونقلت خطوط الهاتف إلى قصر الحارثية الأخبار المفزعة، قنابل ... قنابل ... كان الصدى في الاجتماع. فتنازل ياسين الذي رفض في البدء الاستقالة، وتسلم حكمت سليمان الإرادة الملكية ليكون رئيساً للوزارة. وفي خلال ساعة تشكلت الحكومة الجديدة، وباشرت أعمالها في عصر اليوم ذاته.

كان يمكن أن تكون هذه نهاية سعيدة لولا وصول خبر مفزع آخر. حينما كانت القنابل تسقط على السراي، كان بكر صدقي قد اتخذ بعض الاحتياطات لحماية الجيش، فأرسل اثنين من الضباط الى بغداد مع بعض الجنود للتحذير من جهة وللاستطلاع الأخبار من الجهة الثانية، وأصدر لهم الأوامر برمي أي شخص من الحكومة يواجههم في الطريق.

من المحتمل جداً أن بكر صدقي كان يعلم بقدوم جعفر حاملاً رسالة الملك، رغم أن جعفر في الحقيقة لم يكن تهمه الرسالة قدر اهتمامه بمقابلة الضباط لما يشعر به من منزلة واحترام بين صفوف الجيش. وربما كان احتمال نجاح جعفر في تلك المهمة ليس بالشكل الذي تصوره، ومن المحتمل أيضاً أن يؤدي هذا إلى الانقسام في صفوف الجيش، وهذا يعني بالنتيجة ثورة حقيقية في العراق. وربما لم يكن بكر صدقي يفكر بكل ذلك، لكن كان له هاجس مما سوف يحدث مما دفعه إلى إصدار ذلك القرار القاتل.

فبينما كان جعفر في الطريق الى المعسكر أوقفه رجال بكر صدقي الذين كانوا في ثلاث سيارات في طريقهم الى بغداد وعلى بعد خمسة أميال من العاصمة. بادر جعفر بالتحية، ورد الضباط بالتحية وأمروا جعفر بالنزول من السيارة والذهاب معهم، لم تكن كلمات جعفر الودية أو كلمات الإقناع والتهديد ذات نفع. كان الضابط المرافق لجعفر قد بقي في السيارة وقد رآهم عن بعد يحيطون بجعفر ويمسكون به ومن ثم شكلوا حلقة من الرماة حوله وبدأ الرمي فترنح جعفر ليسقط على الأرض.

وصلت أخبار تلك المأساة في عصر ذلك اليوم الى بغداد، فأصاب مقتله الحزن في العديد من الأطراف، فجعفر وكذلك عديله وزير الخارجية نوري السعيد، ليسوا كياسين الهاشمي، كانت مازالت لهم شعبية كبيرة. لهذا لم يهرب نوري كما فعل ياسين في تلك الليلة حين هرب الى سوريا. توفي ياسين بالسكتة القلبية في بيروت بعد ثلاثة شهور في كانون الثاني ١٩٣٧.

لا أحد يعرف ماذا كان يدور في ذهن نوري السعيد عندما قرر البقاء، لكن رئيس الوزراء الجديد لم يكن ليقامر بنوايا نوري. لجأ نوري وأفراد عائلته إلى السفارة المصرية، وأنتقل في اليوم التالي الى السفارة البريطانية، وحين علم حكمت سليمان بالأمر أتصل بالهاتف بالسفير البريطاني، قائلاً له: "علمت بأن نوري موجود في السفارة، وأود من سعادتكم أن تخبروا نوري، من أجل مصلحة البلد ومن أجل مصلحته الشخصية، أن يغادر العراق فوراً". أجاب السفير: (وكان نوري يسمع) "أذا صادف والتقيت به، سأخبره ذلك".

في فجر اليوم التالي كانت طائرة من سلاح القوة الجوية الملكية البريطانية تنقل وزير الخارجية العراقي نوري السعيد وعائلته إلى مصر.

كانت هناك قصة طريفة أخرى تروى في مقاهي بغداد، ففي ليلة الانقلاب كان نوري السعيد قد أقام وليمة عشاء على شرف بعض من الوزراء الأفغان الذين كانوا في بغداد بطريق رحلة العودة من اسطنبول إلى كابل، وكان حكمت سليمان أحد المدعوين الى هذه الوليمة. من المعروف عن حكمت سليمان بأنه قليلاً ما يضحك، لكن في تلك الليلة كان يضحك من كل قلبه حين أعتذر الى سعادة الوزراء الزوار عن عدم أمكانه العشاء معهم. قائلاً: "أن بعض الشؤون الرسمية تتعارض مع متطلبات اللياقة والأتكيت"، وسعادتكم، أردف قائلاً، "معتادون على مثل هذه الاضطرابات كما في بلدكم".

يمتاز حكمت سليمان بقامة طويلة ومستقيمة، وله ملامح شبابية رغم أنه في الخمسينيات أو الستينيات من عمره، وبحسب مزاجه يبدو عمره محيراً مثل ابتسامته. وحتى في تعبيرات وجهه الاعتيادية فأن له سيماء مغايرة لكل الساسة العراقيين. له حنك مربع وبشكل مميز، عيناه العميقتان لها لون أزرق متألئ، كث الحواجب بشكل لا يتناسب مع الصلعة اللامعة إلى الأعلى. كان يعتاد لبس القبعة الإفرنجية، فكان موضع انتقاد خصومه السياسيين لذلك، فهو متأترك كما يقولون، ويود أن يدخل في العراق التغيرات التي أدخلها كمال أتاتورك في تركيا. لقد كان بالتأكيد يكره السدارة كما يكره الطربوش، ولأنه لا يريد أن يمنح خصومه الفرصة ليجعلوا من الحبة .. كبة، قرر أن يكون حاسر الرأس. كذلك يمتاز حكمت بالبساطة والتواضع، ويحب أن يطلق عليه لقب الحفار.

في أيام الحكم العثماني خدم حكمت في العراق كمدير للتعليم، وبعد الحرب أصبح وزيراً للداخلية ووزيراً للمواصلات. وقام فعلاً بتحويل أقوال الحكومة إلى أفعال، فبدأ العمل لإكمال مشاريع سكك الحديد من مناطق آبار النفط إلى الموصل ومن هناك إلى الحدود السورية لربط بغداد مع حلب ومن ثم مع أوربا. قام بزيادة ميزانية التعليم، وحين كنت في بغداد كان رجاله يقومون بحفر الأسس لثلاثة مدارس حديثة، فهو حكمت الحفار!! وسيكون مسروراً، كما أخبرني وبكل تواضع، أذا استطاع أن يقوم بثلاثة إصلاحات، في الزراعة، في الاقتصاد وفي التعليم، ربما يمكنه أن يحقق أكثر من ذلك لو أستطاع البقاء في السلطة لفترة كافية.

كتب الريحاني هذه المقالة في مجلة آسيا الأمريكية ونشرت في حزيران من عام ١٩٣٧، وكما نعلم أن حكومة حكمت سليمان سقطت بعد مرور حوالي شهرين، في منتصف آب من ذلك العام، بعد اغتيال بكر صدقي.

×باحث عراقي مقيم في لندن

تشييع بكر صدقي

أم كلثوم .. لماذا لم تغن في حفل زواج الملك فيصل الثاني؟

ذكرت الأميرة بديعة وريثة العروش في إحدى مذكراتها عن سيدة الغناء العربي أم كلثوم قولها : انه في العام ١٩٤٣ أراد أخوها الأمير عبد الإله ، أن يخفف عمّا عانوه من حركة رشيد عالي ، وما تبعها، من نتائج سياسية قاسية ، وإن كان قد مضت فترة من الزمن ، إلا أنه أرسلهم إلى مصر ، ونزلوا في مقر السفارة العراقية بالقاهرة،

في حي الزمالك عند السفير تحسين العسكري ، وكانت مصر جميلة تنسي زائرها همومه وأشجانه ، وبعدها عادوا إلى بغداد ، وفي السنة التالية قرروا الاصطياف في الإسكندرية ، فأمر الملك فاروق بلدية المدينة الساحلية ، أن تعد لملك العراق ساحلاً على الشاطئ "بلاجاً خاصاً" ، وبقيا في الإسكندرية حتى أكتوبر عام ١٩٤٤ وكانت ضيفتهم الدائمة والعزيزة عليهم والتي تشرب القهوة معهم يومياً على الساحل هي السيدة أم كلثوم، صديقة أختها الأميرة عبدية الشخصية ومطربتها المفضلة، تستمتع إلي أغنياتها باستمرار، وتتصل بها هاتفياً وتكلمها، سواء من بغداد أم من الإسكندرية ويتبادلان الرسائل والصور والأحاديث.

كان من المقرر أن تغني أم كلثوم في حفلة زواج الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٨، وقد وعدتهم فعلاً، غير أنه قتل قبل أن يُزف إلى عروسه، ولم تسأل عنهم أم كلثوم بعد مقتله، ولم تتابع أخبارهم بالرغم من أنهم قضوا فترة من حياتهم في مصر بعد الانقلاب. وتقول بديعة ربما أتلمس لها الأعذار، في أنها لم تعزني بمقتل صديقتها أختي الأميرة عبدية، برغم أنها لا تستحق ذلك ، لكنني لا أجد لها عذراً ، في أنها غنت لبعد الناصر قصيدة الجواهري في مدحه بعد مقتل أهلي ، ولهذا انكمشت نفسي منها.

وتستمر الأميرة في سرد هذه الذكرى في أسى قائلة: موقف أم كلثوم هذا يذكرني بموقف آخر مغاير تماماً ، للسيدة الإنجليزية (مسز ريميرز) مدرسة الملك فيصل الثاني ، التي بعد مقتل أهلي وانتقاله إلى أكسفورد زارته يوماً ، وقدمت له أواني من فضة كهدية لزواجه ، أرادت (مسز زيميرز) أن تؤلف كتاباً عن الملك فيصل الثاني ، فقد قضت معه فترة ، تراه فيها يومياً ، تعلمه وتربيه وتشرف على حركاته وسكناته ، وهي تعرف عنه الشئ الكثير .

إن هذه السيدة الإنجليزية في ثمانينات عمرها الآن وأتوق لرؤيتها وأتشوق لسماع أحاديثها ، برغم أن صوتها ليس طروباً ، لكني سئمت الاستماع إلى أم كلثوم ..!!

ام كلثوم مع شخصيات عراقية سنة ١٩٤٦

نائب رئيس التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون